وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس . المدية .
كلّية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
الشعبة تاريخ

المرتزقة في بلاد المغرب ودورهم في الأحداث السياسية والعسكرية (من القرن الثاني حتى القرن التاسع الهجري / 08-15م).

مذكرة مُقَدَّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

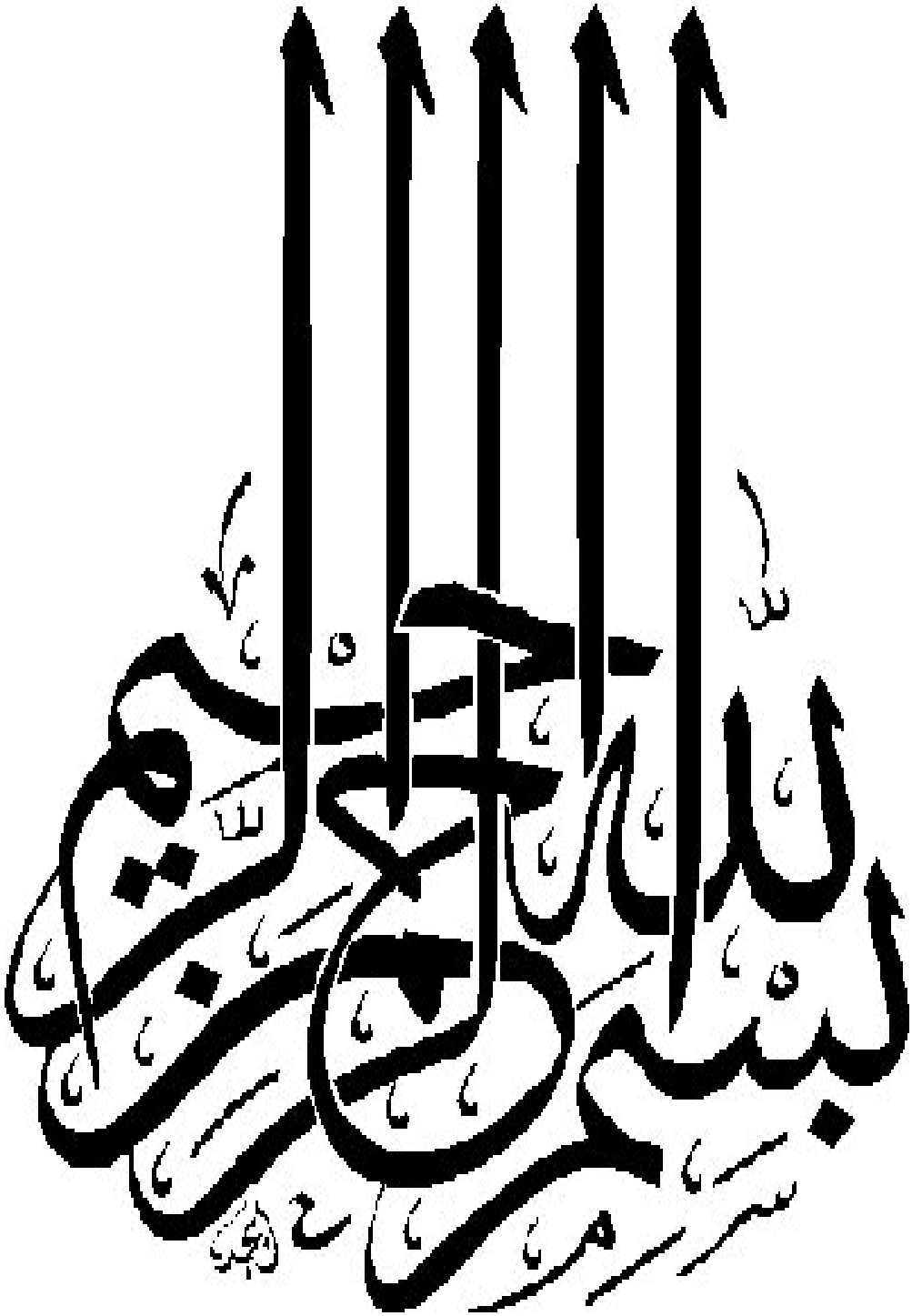
إعداد الطّالبتين:
– وفاء بوذيبة.
– عربية ناجري.

إشراف الأستاذ:
د/ خلف الله وجدي.

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة
حاج كولة عبد العزيز	مساعد أ	رئيسا
خلف الله وجدي	محاضر	مشرفا ومقررا
حمزة عبد الصمد	محاضر أ	مناقشا

السّنة الجامعية: 2019 . 2020م.
الموافق لـ: 1441هـ . 1442هـ.


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

يقال:" إذا عجزت يداك عن المكافئة فلا يعجز لسانك عن الشكر"

بداية نشكر المولى عز وجل ونحمده ونستعينه على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع.

نتوجه بعد ذلك بالشكر والإمتنان للأستاذ المشرف "وجدي خلف الله" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته النيرة وإرشاداته القيمة التي كانت عوناً لنا في إتمام هذا البحث، فله منا جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير.

كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى من سقتني نبع حنانها، إلى رمز العطاء والمحبة والصبر إلى قدوتي وسندي، إلى سر نجاحي في مساري الدراسي إلى أثمن ما في الوجود، إلى حبيبة القلب والروح أمي الغالية حفظها الله.

إلى من هو أغلى من نفسي، إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار، إلى مصدر قوتي وسندي في هذه الحياة إلى أبي العزيز أرجو من الله أن يمد في عمره .

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي، إلى توأم روحي وسعادة قلبي إخوتي نادية ، حكيم، يوسف.

إلى من فارقت روحه الدنيا وارتقى إلى رحمة ربه الأعلى إلى جدي الغالي "عبد القادر" رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى كل من شجعني من قريب أو من بعيد، ولو بدعاء لإتمام هذا العمل.

وفاء

إهداء

إلى من تكبدت عناء تنشئتي في الصغر وحملت هم نجاحي في الكبر إلى أحق الناس بحسن صحبتي من البشر إلى أمي الغالية.إلى من كان سندي في الحياة إلى أعز الناس لقلبي أبي الغالي.

إلى أخويا الحسين وعبد الحكيم، إلى أخواتي عقيلة سعاد حفيظة وعائشة إلى زوجة أخي هاجر .إلى أولاد أخي وأخواتي، إلى صديقتي زينب ووفاء.

إلى كل من عرفتهم من بعيد أو قريب.



مقدمـــــة

التعريف بالموضوع وأهميته:

كانت بلاد المغرب الإسلامي مسرحا للعديد من الأحداث السياسية، والثورات العسكرية، جعلتها قبلة للعديد من الجنود المرتزقة الذين وجدوا ضالتهم فيها (العمل لحسابهم الخاص). ولم يكن لهؤلاء المرتزقة دور في الحياة العسكرية فقط بل تعداه إلى السياسية، حيث تمكنوا من تبوء مناصب هامة في الدولة ومن تشكيل نواة الجيش وقوته، فكان تأثيرهم كبيرا على هاته الدول؛ وذلك بمساهمتهم في تقوية دول وإضعاف أخرى بخلقهم للفتن والثورات بهدف الوصول للسلطة.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يمكننا من معرفة تاريخ ظهور المرتزقة ببلاد المغرب هذا من جهة، ومن جهة أخرى معرفة أهم مصادرهم، ومتى كانت بداية ظهورهم في الجيوش المغربية، وما مدى تأثيرهم في الحياة السياسية والعسكرية.

أسباب اختيار الموضوع:

من بين أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع: هو خلو المكتبة من دراسة شاملة ومستقلة تحمل هذا العنوان، حيث نجد أن جل الدراسات لم تف الموضوع حقه من الدراسة، بحيث عمدت إلى ذكره في جزئية بسيطة دون التعمق في دراسته والوقوف عنده وفهم حيثياته، وهو ذكر أجحف في حق المرتزقة لكونها فئة عبرت عن وجودها كقوة عسكرية تشكلت ضمن ظرفية تاريخية خاصة تستوجب منا بحثاً خاصاً مستقلاً، فارتأينا أن نسلط الضوء على هاته الفئة ونميط اللثام على أهم الجوانب السياسية والعسكرية التي لعبوها في مختلف الدول التي تعاقبت على بلاد المغرب.

ومن بين الدراسات التي اهتمت بموضوع المرتزقة نذكر دراسة لشريف عبد القادر التي كانت بعنوان " النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (21 هـ-641 م/668 هـ-1269 م)"، حيث تطرق إلى الدور السياسي والعسكري للنصارى من بداية الدولة المستقلة إلى غاية دولة الموحدين.

بالإضافة إلى دراسة فتحي زغروت التي كانت بعنوان "الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس) "، حيث تطرق إلى المرتزقة ضمن صفوف جيش المرابطين والموحدين والدور الذي قاموا به خلال عصر الدولتين، دون أن ننسى دراسة عز الدين عمر موسى بعنوان "الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم"؛ فقد تناول من خلالها عن المرتزقة ضمن النظام العسكري لدولة الموحدين.

إشكالية البحث:

للبحث في موضوع المذكرة الذي يحمل اسم "المرتزقة في بلاد المغرب ودورهم في الأحداث السياسية والعسكرية (من القرن الثاني حتى القرن التاسع الهجري/08-15م)." طرحنا مجموعة من الإشكاليات أهمها:

– ما مفهوم المرتزقة ؟ وما هي مصادرهم ؟

– متى كانت بداية ظهورهم في بلاد المغرب؟ وفي أي فترة بلغت ذروة تواجدهم؟ وما مدى تأثيرهم في الأحداث السياسية والعسكرية ؟.

خطة البحث:

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا خطة مكونة من مدخل وثلاثة مباحث، وخاتمة ومجموعة من الملاحق والخرائط.

أما المدخل فجاء بعنوان" **المرتزقة ومصادرهم ببلاد المغرب** "، فتطرقنا فيه إلى مفهوم الارتزاق، ثم انتقلنا إلى مصادر المرتزقة المتمثلة في النصارى، الصقالبة، السودان والأغزاز.

و حمل المبحث الأول عنوان "**ظهور المرتزقة ببلاد المغرب** "، وقد استهللناه بدراسة المرتزقة في الدول المستقلة بدءً بالدولة الرستمية ودولة الأغالبة، مرورا بالدولة الفاطمية فالزيرية وختمناه بالدولة الحمادية.

و فيما يخص المبحث الثاني فقد حمل عنوان " **المرتزقة في دولة المرابطين والموحدين** "، فتناولنا فيه ظهور المرتزقة في دولة المرابطين والمكانة التي وصلوا إليها خلال هذه الفترة؛ ثم انتقلنا إلى المرتزقة في دولة الموحدين.

أما المبحث الثالث والأخير الذي حمل عنوان "**المرتزقة في دولة الحفصيين والزيانيين والمرنيين** "فقد تناولنا فيه المرتزقة في الدولة الحفصية، ثم تكلمنا عن المرتزقة في الدولة الزيانية، كما تطرقنا إلى المرتزقة في الدولة المرينية وخرجنا في الأخير باستنتاج.

و ذيلنا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من المباحث السابقة، كما أثرينا موضوعنا بمجموعة من الملاحق وكذا الخرائط وقائمة للمصادر والمراجع.

عرض لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع من أجل لم شتات هذا الموضوع، حتى يخرج في شكله النهائي، وقد تنوعت المصادر بين التاريخية والجغرافية والمعجمية ومن المصادر التاريخية نذكر:

كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "، لمؤلفة العلامة عبد الرحمان بن خلدون (ت808 هـ/1405 م). يعتبر هذا الكتاب موسوعة تاريخية شاملة ومصدراً رئيسياً لا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب الإسلامي الاستغناء عنه، وكان اعتمادنا بدرجة كبيرة على الجزئيين السادس والسابع لاحتوائهما على معلومات قيمة فيما يخص وجود المرتزقة في الدولة الزيانية والحفصية وكذا المرينية.

وهناك مصدر لا يقل أهمية عن سابقه وهو كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس "، لأبي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبي الزرع(ت726 هـ/1326م)، وفيه تناول تاريخ المغرب الأقصى منذ بداية دولة الأدارسة، حيث تضمن في ثناياه الكثير من المعلومات حول أخبار دولة المرابطين والموحدين. فأفادنا كثيراً في تغطية أهم الأدوار التي قام بها المرتزقة عصر الدولتين. كما اعتمدنا على كتاب أخر من تأليفه هو كتاب "الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية"، حيث ساعدنا كثيراً في دراسة المرتزقة في هاته الدولة.

بالإضافة إلى كتاب "البيان المغرب في اختصار وأخبار ملوك الأندلس والمغرب "لأبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى (ت716 هـ). يعتبر من المصادر المغربية المهمة والتي لا غنى عنها للباحث في التاريخ السياسي والعسكري للمغرب والأندلس، وقد اعتمدنا عليه في كل أجزاءه وذلك لغناهم بالمادة العلمية التي خدمت موضوعنا.

وكتاب " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " للزركشي وهو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي التونسي (ت 884 هـ/1488م) يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهماً للباحث في التاريخ الموحدي والحفصي، وقد أمدنت بمعلومات كافية حول وجود المرتزقة في الدولة الحفصية ودورهم في الأحداث السياسية والعسكرية بها.

هذا فيما يخص المصادر التاريخية، أما فيما يتعلق بالمصادر الجغرافية فنذكر: "كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار "، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد منعم الحميري (ت866 هـ/1461 م)، يعد هذا الكتاب معجم جغرافي وتاريخي في نفس الوقت، تناول فيه المؤرخ العديد من المدن والأماكن والبلدان مرتبة ترتيبا هجائيا هذا ما سهل علينا عملية البحث.

بالإضافة إلى كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف مجهول من القرن 6 هـ/12 م (تحقيق سعد زغلول عبد الحميد1985)؛ أفادنا كثيراً بمعلوماته الهامة عن بعض المدن التي ظهر فيها المرتزقة. وكذلك كتاب " معجم البلدان " لياقوت الحموي(ت 626 هـ/1229م)، يعتبر من أهم المعاجم الجغرافية التي درست العالم الإسلامي بصفة عامة، حيث تضمن معلومات وافرة أفادنا كثيراً في التعريف بالمدن والأماكن المغربية.

هذا بالنسبة للمصادر،أما بالنسبة للمراجع فذكر كتاب " السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي"، لمحمد العروسي المطوي الذي تضمن في طياته العديد من الأحداث التي برز فيها دور المرتزقة في عهد الأمراء الحفصيين، فأفادنا في تغطية مختلف الجوانب المتعلقة بالمرتزقة في هذه الدولة.

بالإضافة إلى كتاب "التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم "، لعبد الهادي تازي، وقد أفادنا كثيراً في دراسة المرتزقة ونشاطهم في الدولة المرينية.

صعوبات الدراسة:

من أهم الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث قلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وإن وجدت فإن أغلبها لم تتطرق للمرتزقة بشكل مفصل ودقيق بل في دراسة جزئية وإشارات بسيطة، مما صعب علينا التعمق في دراسة المرتزقة في بعض الدول. دون أن نذكر الظروف الصحية التي تمر بها البلاد والعالم ككل (جائحة كورونا)، وهو ما صعب علينا التنقل إلى المكتبات وصعوبة التواصل مع الأستاذ المشرف لقلة الإمكانيات.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه المذكرة وعلى رأسهم الأستاذ المشرف وجدي خلف الله، والشكر موصول كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم قراءة وتصويب هذا البحث.

مدخل

المرتزقة ومصادرهم ببلاد المغرب

01- مفهوم الارتزاق

02- مصادر المرتزقة

أ- النصارى

ب- الصقالبة

ج- السودان

د- الأغزاز

عرفت بلاد المغرب الإسلامي توافد المرتزقة إليها وانصهارهم وتغلغلهم داخل جيوشها، حيث تعددت أجناس وأعراف هؤلاء المرتزقة كما اختلفت مصادر وطرق جلبهم وكذا استخدامهم.

01- مفهوم الارتزاق:

يقصد بهم الجنود النظاميون الذين يقع تجنيدهم طوعاً ويتلقون رزقاً منتظماً،[1] فالجندي المرتزق هو الذي يستجلب من خارج المجتمع، أو يجند من داخله وهو يقوم بالقتال من أجل المال بالدرجة الأولى، هنا يجب أن تكون الدوافع داخلية مركبة (الانتماء حب الوطن)، بل لابد أن يكون الدافع خارجياً بسيطاً هو الربح المادي الذي يأخذ صورة أجر مادي عاجل ومباشر أو أجل.[2]

فالجنود المرتزقة في أوقات كانوا ينظمون إلى الجيوش المحاربة، وفي أوقات السلم ينظمون إلى الجيوش المحاربة وفي أوقات ينظمون إلى الحرس الخاص بالسلطان أو الخليفة، ولعل السبب في استخدامهم يعود إلى أن الجندي الغريب عن وطنه يكون في العادة أكثر طاعة وأشد ولاءً للسلطان من أي فرد أخر من ذوي النفوذ القبلي، فلو أنه فكر يوماً في العصيان أو الثورة لما وجد تأييداً أو سنداً محلياً من الأهالي بحكم كونه غريب عنهم ولا تربطه بهم روابط الدم أو العصبية ولهذا كان من الطبيعي ولاءه لسيده الخليفة [3]، وكان كل ما يتطلب من المرتزقة في هذا العصر هو طاعة سادتهم طاعة عمياء وأن يكونوا ممتهنين صنعة القتال[4]، فهؤلاء يعيشون على مقربة من الأغلبية لكنهم كانوا يظلون في عزلة[5] عنهم مُنبتوا الصلة بالجماهير مرتبطون بالنخبة الحاكمة التي تسخرهم لمصلحتها.

02-مصادر المرتزقة:

أ- النصارى :

استقر النصارى في المناطق الساحلية لبلاد المغرب[6]، ولم يتوغلوا إلى الداخل، ولم يختلطوا بأهل البلاد، فاختاروا

---

(1) هو بكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د، ط، ليبيا-تونس، 1980، ص155..

(2) عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، دب، 1936، ج2، ص245.

(3) أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص161.

(4) عصمت عبد اللطيف دندش، في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510-546 هـ/1116-1151 م تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، ط01، لبنان، 1988، ص287.

(5) عبد الوهاب الميسري، المرجع السابق، ص245.

(6) يمتد من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ينقسم إلى ثلاث أقسام: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى.(أنظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العرب حتى سقوط الخلافةبقرطبة، مؤسسة شباب الجامعي، الإسكندرية، 1997، ص19.

المناطق الأفضل منـاخاً، والأغـــنى اقتصادا، وابتعدوا عن الداخل الذي غلبت عليه الصحاري بمناخها القاسي وقلة مصادرها الإقتصادية ومشقة عيشها.[1]

ومن بين المراكز التي استقر بها النصارى نجد واحة الفرنون[2]، وبعض الواحات الليبية الداخلية، بسبب توفرها على أشجار النخيل المثمرة والمياه العذبة، وفيها مدن كثيرة مسورة وغير مسورة وفرت الأمن والاستقرار، إضافة إلى مدينة أجدابية لما توفرت عليه من إمكانيات الهواء النقي والماء العذب وأشجار النخيل وكثرة البساتين.[3]

كما استقر النصارى في إفريقية[4] مدة طويلة لأن هذه المنطقة كانت تضم عاصمتهم قرطاجة[5]، ويظهر تمركزهم في سواحلها وحتى في بعض المناطق الداخلية، وذلك لتوفر الأمن والظروف الملائمة للنشاط التجاري، بحكم قربها من السواحل، ويرتبط اسم مدينة تونس التي أنشأها حسان بن نعمان[6]؛ ارتباطاً وثيقً بدير النصارى، حيث أن حسان أطلق عليها هذا الاسم بسبب وجود صومعة للرهبان، كانت تقع في نفس الموقع الذي بنيت فيه المدينة.[7]

كما شكل النصارى في عهد الأغالبة نسبة لابأس بها من السكان، حيث أن أمراء الأغالبة اعتمدوا في تشييد المباني والقصور على العبيد النصارى الذين أصبحوا فيما بعد مواليهم.[8]

---

(1) عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي (22-462 هـ/642-1070م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم ط، 2001، ص32.

(2) هي واحة داخلية كثيرة الشجر والنخيل، تضم العديد من القرى، كان أهلها نصارى.(أنظر:البكري، المسالك والممالك، تح:جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01، 2000، ج02، ص187.

(3) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تر: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العمة، الكويت، 1985، ص144.

(4) اختلف المؤرخون لسبب تسميتها إفريقية، فقيل أن إفريقش أحد تبابعة اليمن ستولى عليها فسميت بذلك، وقيل سميت بن نصر بيصرين خادم نوح عليه السلام، وكانت قاعدتها سبيطلة ثم القيروان ثم المهدية وبعدها تونس.(أنظر: القلقشندي(أبا العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج05، ص101-102.

(5)من المدن المشهورة، تبعد عن تونس عشرة أميال أو نحوها ومرساهما واحد، فيها عجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً وغرباً.(لأنظر: الحميري، المصدر السابق، ص462.

(6)هو حسان بن نعمان بن المنذر الغساني، كان بطلاً شجاعاً، افتتح في المغرب بلاداً، كانت له في دمشق دار كبيرة وقد جهزه معاوية، فصالح البربر وقرر عليهم الخراج، وحكم على المغرب نيفاً وعشرين سنة، وهذب الإقليم إلى أن عزله الوليد بن عبد الملك، توفي سنة ثمانين.(أنظر:الذهبي (الإمام شمس الدين محمد)، سير أعلام النبلاء، تح: مأمون الصاغوجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ج04، ص294.)

(7) عبد القادر شريف، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (21هـ-641 هـ/668هـ -1269 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 2012، ص25.

(8) نفس المرجع، ص29.

أما المغرب الأوسط[1] فقد استقر النصارى في عدة مدن، فمدينة قسنطينة[2] سكنها النصارى الذين عاهدوا على البقاء مقابل دفع الجزية، وكان ذلك منذ الفتح الإسلامي ومن المدن الأخرى التي سكنها النصارى مدينة مليانة[3] وأرزيو التي بناها الروم، فيها أثار عظيمة للأول باقية يحار من دخل فيها لكثرة عجائبها، حيث جذبت مدينة تاهرت[4] حاضرة الرستميين عدداً كبيراً من النصارى وأخذوا بعض الأحياء مستقراً لهم مثل حي الكنيسة الذي أقيم على مكان مرتفع في المدينة؛ بنو فيه منازلاً وقصوراً.[5]

أما في المغرب الأقصى[6] فقد استقر النصارى في مدينة نفيس[7] ومدينة طنجة[8]، وأشار الونشريسي أن جموعاً من النصارى الذين انتقلوا من مدن جنوب الأندلس إلى المغرب في عهد[9] علي بن يوسف المرابطي[10] (500-538 هـ) نزلوا بصفة خاصة في مدينة الزيتون[11] بالمغرب الأقصى، وكان للنصارى كنائس في بلاد المغرب

---

(1) يحده من الشرق مملكة إفريقية وما أضيف إليها من ناحية المغرب، ويحده من الشمال البحر الرومي، وأما من الغرب مملكة فاس ومن جهة الجنوب المقاوز الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان.(أنظر:القلقشندي، المصدر السابق، ج05، ص150).

(2) مدينة من بلاد المغرب الأوسط، عامرة بها أسواق وتجار وأهلها مياسر ذو أموال وأحوال واسعة، وهي على قطعة جبل منقطع مربع.(أنظر: الإدريسي (أبو عبد الله بن محمد)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافية الدينية، دط، القاهرة، 2006، مج01، ص265).

(3) هي مدينة رومية فيها أثار، وهي ذات أشجار وأنهار، حدها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين، وهي عامرة أهلة ولها أبار عذبة وسوق جامعة. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص547).

(4) هي مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط وكانت فيما سلف مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة، وهي عاصمة الدولة الرستمية. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص126).

(5) عبد القادر شريف، المرجع السابق، ص29.

(6) سمي الأقصى لأنه أبعد الممالك الثلاث عن دار الخلافة في صدر الإسلام، يحده من الغرب البحر المحيط، ومن جهة الشرق واد ملوية ومن الشمال البحر الرومي وجنوبا جبال درنة. (أنظر: الناصري (أحمد بن خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دد، دط، دب، دس، ج01، ص35).

(7)مدينة قديمة صغيرة، حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها حنطة وفواكه بها جامع وسوق نافقة. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص578).

(8) هي مدينة قديمة صغيرة، فيها أثار كثيرة للأول وقصور قباء وغيرها، وكان فيها مجلوب في قناة كبيرة. (أنظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 138).

(9) الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد يحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، الرباط، 1981، ص 56.

(10) هو أبو الحسن علي بن يوسف، تولى الخلافة بعد أبيه واضطلع بالأمور أحسن الاضطلاع، وقام أحمد القيام وكان كثير الصدقة، فاجتمعت عليه الأمة، بايعه أخوه الأمير ظاهر تميم، وكان أكبر سناً منه، وهو أول من استعمل الروم بالمغرب وغزا بنفسه بلاد الروم، فخلا بسببه الكثير من أحواز طليطلة. (أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص84).

(11) مدينة في المغرب الأقصى من نظر فاس إلى جهة المغرب وهي مدينة جليلة فيها، أسواق كريمة الأرض الطيبة المدرة بل هي من عز بلاد المغرب أنظارها واسعة وقراها عامرة وعمائرها متصلة تشقها أنهار المياه السائحة (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص544).

يمارسون فيها طقوسهم الدينية. [1]

ب- الصقالبة:

أطلق مصطلح الصقالبة على الرقيق المجلوب من أوروبا، والمناطق الشمالية من إسبانيا[2]، فأصل كلمة Esclave فرنسي قديم ومعناه عبد أو رقيق.[3]

أما المسلمون فقد أطلقوا مصطلح الصقالبة على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية[4] وبلاد الغال[5]، أو بعبارة أخرى البلاد الممتدة من بحر القزوين شرقاً إلى بحر الأدرياتكي غرباً، وهم من أجناس متعددة من الروس والبلغار والصرب والسلاف من أصول أسيوية كانت تسكن القوقاز[6]، وكان أغلبهم يؤتى بهم أطفالاً ويربون تربية عسكرية ويدربون على خدمة القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا جنود في الحرس أو الجيش.[7]

بدأ الرقيق الصقلبي يصل إلى المغرب منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، حيث وصفهم القلقشندي في قوله: "ليس في أجناس الرقيق أنعم من أجسامهم ولا أحسن من بياضهم وصورتهم تامة الخلقة في حسن وبياض ونعومة عجيبة)"[8]. وقد استعملهم الأغالبة، حيث أن زيادة الله الثالث [9]أخفى ألف دينار ذهبي في أحزمة ألف صقلبي عندما غادر إفريقية متوجها إلى المشرق 296 هـ/908 م، إثر هزيمته أمام الفاطميين، وهكذا دخل الصقالبة إفريقية، وعوضوا تدريجيا السودان في حراسة الأمراء الأغالبة وتغلغلوا في الجيش، ويشار إلى أن هناك خدم صقالبة في الدولة الرستمية، وهذا يدل على وصول الصقالبة إلى مدن المغرب الداخلية لكن لم يتضح دورهم

---

(1) الونشريسي، المصدر السابق، ص56.

(2)ابن حوقل(أبو القاسم بن حوقل النصيبي)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1995، ص333.

(3) إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطلبة والنشر، بيروت، دس، ص46.

(4) كانت في القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكاً، أولهم قسطنطين الأكبر الذي بناها وأقام عليها سور وسماها القسطنطينية. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص481).

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص333.

(6) أم السعد طرافي، الممالك الصقلية شرق الأندلس إمارة دانية(400-460 هـ/ 1009-1076 م) أنموذجا، مذكرة شهادة الماستر في تاريخ القرون الوسطى، جامعة المسيلة، 2015-، 201م، ص11.

(7) حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422 هـ/755-1030 م)، مطبعة الحسين الإسلامية، الإسكندرية، 1994، ص54.

(8) القلقشندي، المصدر السابق، ج05، ص420.

(9)أخر ملوك الأغالبة، كان يقيم برقادة، وكان ميالا إلى اللهو واللذات، وعند هزيمته من قبل عبيد الله الشيعي سنة 296 هـ جمع ماله وأهله وفر من إفريقية، توجه إلى مصر. (أنظر: ابن الأبار (أبا محمد بن أبي بكر القضاعي)، الحلة السيراء، تح:حسين مؤنس، دار المعارف، ط01، القاهرة، 1963، ص76).

وذلك لقلة عددهم مقارنة بالعهد الفاطمي، فقد اقتنى الفاطميون منهم أعداد كبيرة، واعتنوا بهم منذ صغرهم؛ فربوهم على الطاعة والوفاء لهم، والإخلاص لمذهبهم، وجعلوا من بعضهم إطارات كفأة ووثقوا بهم فأتاحوا لهم الفرص ليتولوا مناصب هامة في البلاد فاستطاع عدد منهم الدخول إلى قصور الخلفاء والإشراف على شؤون أهلها وسيطروا على مختلف أجهزة الإدارة، وقد فعل الخلفاء الفاطميون ذلك لآن الصقالبة عنصر أجنبي عن بلاد المغرب وعند استرقاقهم يفقدون انتمائهم فلا ينتمون لعصبية قبلية ويحتمون بها، أو يدافعوا عنها ويكون ولائهم تاماً لهم.[1]

واللافت للنظر أن هؤلاء الصقالبة لم يجدوا صعوبة في التأقلم بمحيطهم الجديد ببلاد المغرب، فتعلموا لغة سادتهم وتعودوا بعاداتهم، واعتنقوا دينهم ؛ ولعل قدومهم في سن مبكرة من بلادهم التي كانت تعرف ظروفا صعبة، وحلولهم في أخرى بدأت تعرف ازدهارا في جميع نواحي الحياة جعل عقولهم تتفتح وأحاسيسهم تتنبه فنهلوا من هذه الحضارة الفتية حتى صاروا أفضل من الأحرار.[2]

ج- السودان:

من المعروف أن بلاد المغرب ترتبط بصلة وثيقة ببلاد السودان[3] من الناحية الجغرافية، فالسودان ليس لها اتصال بشيء من الممالك إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم، فالصحراء كانت همزة وصل بين المغرب والسودان، وقام سكان الصحراء المنتشرون في المدن والواحات بدور كبير في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان سواء عن طريق التجارة أو تسهيل حركة مرور التجار وغيرهم، بالمنطقة الصحراوية.[4]

وأشـــار الكـــتاب العرب الأوائل عندما وصفـــوا المدن الصحراوية مثل: غدامس[5]، زويلة[6]، وأوجلة[7]

---

(1) لطيفة بشاري بن عميرة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (ق 01-04 هـ/ 07-10 م)، أطروحة دكتوراة في التاريخ الوسيط – جامعة الجزائر2، 2007، ص250.

(2) نفس المرجع، ص254.

(3) يحدها المحيط غرباً، والصحراء شمالاً وأثيوبيا العليا جنوباً، حيث تحتوي على عدة قبائل وأنهار عظيمة تصب في المحيط، وأرضية منخفضة.(أنظر: مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، وآخرون، مكتبة المعارف، دط، المغرب، 1924، ج01، ص51.

(4) عبد الحميد حمودة، تاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية، ، القاهرة، 2007، ج01، ص20.

(5) مدينة قديمة، ومنها يدخل إلى بلاد تادمكة، وغيرها من بلاد السودان. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص427).

(6) مدينة كبيرة في الصحراء، وهي من السودان، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من بلاد السودان. (أنظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص146).

(7)مدينة في جنوب برقة نحو المغرب ضاربة إلى البر وأوجلة اسم للناحية واسم لمدينة أوزراقية.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج01، ص275).

وسجلماسة[1] أنها أبواب السودان.[2]

وعند الفتح الإسلامي لم تكن توجد في المغرب جماعات سودانية ذات كيان خاص إذ لا تشير الروايات إلى ذلك، وهذا يعني أن الدماء السودانية الآتية من الجنوب كانت تذوب أولاً بأول في دماء أهل البلاد.[3] فقد سار عقبة بن نافع[4] على رأس حملة في جوف الصحراء الجنوبية ووصل إلى فزان[5] ومنها إلى ودان[6]، ومضى إلى قصور كوار[7] ففتحها حتى انتهى إلى أقصاها، وفرض عليهم ثلاثمائة وستين عبداً، وذلك بعد أن نقضوا العهد مع الفاتحين.[8]

ويشير البكري إلى عبد الرحمان بن حبيب[9](127-137 هـ/ 740-770 م) الذي قام بإنشاء آبار للمياه على الطريق الممتد تامدلت إلى أودغست[10]، وبروز دور السودانيين على المسرح السياسي في المغرب.[11]، وساهمت العناصر السودانية في قيام دولة بني مدرار، فكانت جماعات منهم تقيم في تافيلالت بعد اعتناقهم المذهب الصفري على يـــد أبي القاسم سمكو بن واسول[12]، أول من تولى الإمامة في الدولة كان سودانياً يـــدعى

---

(1)مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي منقطع جبل درن. (أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج03، ص192).

(2) الحميري، المصدر السابق، ص 427؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص146؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص275؛ البكري، المصدر السابق، ص148.

(3) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي منذ الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، دار المعارف، الإسكندرية، 1993، ج1، ص108.

(4)ابن نافع بن عبد قيس القريشي الفهري صحابي بالمولد، وهو أخر من ولى المغرب من الصحابة، أسس القيروان سنة 50 هـ- 670م، حكم المغرب لولايتين الأولى من 50-55هـ، والثانية من 62-64 هـ، توفي سنة 64 هـ-673 م بمنطقة تهودة. (أنظر: الناصري، المصدر السابق، ص139).

(5) تقع بين طرابلس وقابس. (أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 440).

(6) قرية في صحراء نوميديا المتاخمة لليبيا. (أنظر: حسن الوزان (محمد الوزان الفاسي)، وصف أفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط02، لبنان، 1903، ج02، ص116).

(7) مدينة ببلاد فارس يسرة، فيها ثلاثمائة وستون قرية، ومروج كثيرة ومزارع. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص502).

(8) ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله)، فتوح إفريقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1914، ص52.

(9) كان أحد القادة العسكريين في إفريقية انضم إلى حملة كلثوم بن عياض لإخضاع ثورة البربر، دخل إفريقية عام 127 هـ، ودعا لنفسه وظل والياً على إفريقية إلى غاية وفاته سنة 137 هـ. (انظر: ابن عذارى المراكشي (أبا العباس أحمد بن محمد)، البيان المغرب في أخبار الأندلس وا لمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، نونس، 2013، ج01، ص91-100).

(10)مدينة تقع جنوب سجلماسة، وهي أشبه ببلاد الله مكة وهي تقع بين جبلين. (انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص91).

(11) البكري، المصدر السابق، ص149.

(12) هو أبو القاسم سمكو بن مولان بن نزول المكناسي، حكم بعد عيسى بن يزيد ودامت فترة حكمه 13 عاماً، توفي سنة 168 هـ-798 م.(انظر: البكري، المصدر السابق، ص 149).

عيسى بن يزيد الأسود[1] سنة 140 هـ-770 م.[2]

أما عن مصادر جلب السودانيين فكان عن طريق الشراء والخطف، ويشير الإدريسي في ذلك بقوله: (بلاد أرض زغاوة السودان وأكثر هذه الأرضين صحارى متصلة غير عامرة... وأهل المدن الذين يعبرون هذه الصحاري، ويسيرون بهم في الليل ويأتون بهم إلى بلادهم ويخفونهم إلى أرض المغرب ويباع منهم في سنة أمم وأعداد لا تحصى.)[3]

ومن بين البلدان التي كان يجلب منها السودانيين بلاد النوبة،[4] حيث وصفهم الزهري بقوله: (من عجائب النوبة أنهم سودان وهم في أحسن صورة وأتم ما يكون.)[5]. وبلاد غانة التي كانت أهم مورد للرقيق إلى بلاد المغرب، فقد جمع يوسف بن تاشفين[6] بواسطة تجار الرقيق من إقليم غانة عدداً كبيراً من العبيد، واختار أمهرهم وزودهم بالسلاح والخيل، وأنشأ منهم حرسه الخاص.[7]

د- الأغزاز:

هم من سلالة الأتراك بلادهم في أقصى الشرق عل تخوم الصين[8] يقول ابن خلدون:(وفي سنة ثمان وأربعين خرجت من المفازة التي بين الصين وما وراء النهر أمم عظيمة من الترك تزيد على ثلاثمائة ألف خيمة)[9]. دخلوا منطقة طرابلس سنة 569 هـ/1173 م مع قراقوش[10] مملوك تقي الدين أخ صلاح الدين الأيوبي، وقد

---

(1) هو أول حاكم لدولة بني مدرار الصفرية دام، دام حكمه 15 سنة، حقق فيها عدة إنجازات، أكمل بناء سجلماسة، توفي مقتولاً بعد أن ثار عليه قومه. (انظر: البكري، المصدر السابق، ص150).

(2) محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، ط02، 1985، ص144.

(3) الإدريسي، المصدر السابق، ص109.

(4) بلاد واسعة في جنوب مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، يجلبون إلى مصر فيباعون بها، وخلفهم أمة عظيمة أمة أخرى من السودان تدعى ثكنة. (أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص309).

(5) الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، دس، ص122.

(6) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي، أسس الدولة المرابطية عام 454 هـ-1062 م، توفي سنة 500 هـ ودفن بقصره بحضرة مراكش.(أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص23، 83).

(7) عبد الحميد حمودة، المرجع السابق، ص 23.

(8) هي بلاد تجاور بلاد البرغز، فيها ملوك الصين لهم أجناد وعدة وأموال طائلة، وسميت الصين بأول من نزلها وهو صائن بن عامور بن يافث. (أنظر الحميري، المصدر السابق، ص371).

(9) ابن خلدون، المقدمة، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، دط، الأردن، دس، ص548.

(10) هو بهاء الدين قراقوش المظفر التقوي تقي الدين عمر. (انظر: ابتسام مرعى خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564 هـ-936 هـ/1130-1096م، دار المعارف، دط، الإسكندرية، 1985، ص148).

كان لهؤلاء الأغزاز أثر كبير على الدولة الموحدية، وذلك بتحالفهم مع أهل جزيرة ميورقة أعداء الموحدين، وفي الفتن التي اجتاحت إفريقية، مما أغرى أغزاز آخرين لدخول المغرب، فأجبر الأمير الموحدي للخروج إلى إفريقية بنفسه، فقضى على الفتن فيها أواخر 583هـ-1188م، واسترق ما وجد من الأغزاز.[1] وبعد ذلك حولهم من الاسترقاق إلى التجنيد، وكان سبب ذلك ما تمتع به هؤلاء الأغزاز من مزايا عسكرية أغرت أمراء الدولة الموحدية بالاستفادة منهم في الجيش النظامي، كما أغدقوا عليهم الكثير من الأموال.[2]

(1) فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005، ص118.

(2) عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظامهم، دار الغرب الإسلامي، د ط، د س، ص226.

المبحث الأول:

ظهور المرتزقة ببلاد المغرب

1- المرتزقة في الدول المستقلة

أ- المرتزقة في الدولة الرستمية

ب- المرتزقة في دولة الأغالبة

2- المرتزقة في الدولة الفاطمية.

3- المرتزقة في الدولة الزيرية.

4- المرتزقة في الدولة الحمادية.

استعمل أمراء الدول المستقلة المرتزقة في مختلف أنشطتهم السياسية وخاصة العسكرية، وذلك لما اتسم به هؤلاء من قدرات ومهارات ظهرت بشكل واضح مع بداية القرن 02هـ-08 م.

01- المرتزقة في الدول المستقلة:

أ- المرتزقة في الدولة الرستمية:

شهد المغرب الأوسط في القرن الثاني الهجري، قيام دولة مستقلة عن الخلافة العباسية وهي الدولة الرستمية والتي أسسها عبد الرحمان بن رستم[1] سنة 160هـ/785 م، وكانت عاصمتها تيهرت[2]. حكم الدولة الرستمية في الفترة الأولى من قيامها عدد من الأئمة الأقوياء، تمتعت في عهدهم بالاستقرار السياسي والإجتماعي[3]، حيث كانت تيهرت العاصمة السياسية والإدارية، وكانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية، وكان للرستميين جيش يعتمد عليه في الدفاع عن حرمة تيهرت وحدود البلاد، بلغ عدده في الظروف العادية حوالي خمسة عشر ألف، وقد تكون من شباب الدولة الذي جند لحماية الدولة[4]، كما اعتمدت الدولة الرستمية أيضاً على عناصر أخرى في جيشها من صقالبة ونصارى[5]، فكبار الشخصيات الرستمية كالإمام أبي بكر بن أفلح[6]، ومحمد بن عرفة[7] كان لهم من العبيد والموالي الكثير.[8]

---

(1) هو عبد الرحمان بن رستم بن بهرام الفارسي، ولد بالعراق، بويع بالإمامة عام 160 هـ-785م، كان حسن السيرة في إمامته، بنى مدينة تيهرت وقوى نفوذه وانتشر سلطانه بين قبائل البربر، توفي عام 168هـ.(أنظر: الدرجيني (أبو العياش أحمد بن سعيد)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، د د، د ط، د س، ص19،41).

(2) الدرجيني، المصدر السابق، ص40-42.

(3) محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160 هـ-296م)، دار العلم،ط03، الكويت، 1987، ص227.

(4) فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية(القرن 02-03هـ/08-09م)، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، 2010، ص84.

(5) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، د ط، د ب، دس، ص63.

(6) عقدت له الإمامة سنة 240هـ، من طرف أهل الحل والعقد من نفوسة، وكان ضعيف لم تكن الشدة فيه مثل ما كان فيمن قبله من آبائه.(انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص 61).

(7) صهر الإمام أبي بكر، بلغ من النفوذ مبلغاً عظيماً في عهده توفي مقتولاً من طرف أبي بكر.(أنظر: محمد زينهم غرب،قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، 2012، ص 129).

(8) فتيحة قرواز، الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية(260-296هـ/777-909م)، مذكرة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، شلف، 2011-2012م، ص105.

ولكن الأحداث التاريخية في منطقة المغرب الأوسط، لم تبرز ظهور دور هؤلاء العناصر خاصة في الفترة الأولى من قيامها لأن روح السلم كانت سائدة فكان دورهم مقتصر على الميادين الاجتماعية في معظمها، كما كانوا يعتمدون عليهم في حراسة الأمراء والقصور.[1]

شهدت الدولة الرستمية أواخر أيامها العديد من الثورات والحروب هذا ما جعل أئمتها يعتمدون على عناصر أخرى لإخماد هذه الثورات. فأبا بكر بن أفلح كان له أنصار من المسيحيين نزلوا مناصب سامية في حكمه، وكانوا من خاصته في حروبه[2].و قد عبر ابن الصغير على ذلك بقوله: "... قدم أبو اليقضان[3] من العراق[4]، فوجد أخاه أبا بكر أميراً والعجم على أموالهم والنفوسة على مراتبهم..."[5].

كما أن الفترة التي عاشها أبا اليقظان في بغداد [6] أثرت في تكوين شخصيته السياسية، ومما شهده واطلع عليه هو تعبئة الجيوش عند الحاجة إليها، فكان له والي وهو إلياس النفوسي وأحد شيوخ الدعوة الإباضية[7]، من أصل نصراني[8]. حيث استطاع هذا الأخير أن يتغلب على أحمد بن طولون[9] وإخراجه من برقة عندما استنجد به أهل طرابلس، فخرج في اثني عشر ألف وألحق بهم الهزيمة وإنتهب أهل طرابلس الكثير من أموال الطولونيين، بينما تورع النفوسيون كعادتهم عن أخذ شيء من هاته الأموال لحاجة في نفوسهم. وظلت أحوال الدولة هادئة إلى نهاية حكم أبا اليقظان عام 281 هـ-894 م[10]. وتولى مكانه أبا حاتم[11]، حيث أن هذا الأخير لما انتقل إلى كرسي

---

(1) ابن الصغير، المصدر السابق، ص64-67.

(2) محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص160.

(3) بويع سنة 261هـ-876م، إلا أن الأحوال لم تستقم له إلا بعد سبع سنوات قضاها في محاربة ابن مسألة. وفي عام 268هـ-881م استطاع أن يدخل إلى تيهرت وتوفي عام281م.(أنظر: إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط01، د، ب، 1985، ص124).

(4) سميت بالعراق لأنها على شاطئ الدجلة والفرات، وهي مستقر الممالك الجاهلية والإسلامية، وفيها قواعد العظمة والأعمال الشريفة.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص410).

(5) ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

(6) أصل بغداد للأعاجم والعرب تختلف في لفظها وهي دار ملوك بني العباس.(أنظر: الحموي، المصدر السابق،ج01، ص456).

(7) فرقة من معتدلي الخوارج في البصرة والكوفة، تنسب إلى عبد الله بن إباض الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وانتشرت في أرجاء مختلفة.(أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج01، ص03).

(8) ابن الصغير، المصدر السابق، ص53؛ محمد زينهم عزب، المرجع السابق، ص136.

(9) قام العباس أحمد بن طولون بعصيان أبيه الذي استخلفه في مصر عند رحلته إلى الشام سنه 265هـ، وجمع أموال وفر إلى برقة في بلاد المغرب وأساء معاملة الناس هناك، إلا أن والده استطاع أن ينشئ حملة عسكرية ويأتي بها إلى مصر.(أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص1094).

(10) محمد عزب زينهم، المرجع السابق، ص136.

(11) مكث في الإمامة اثني عشر سنة، بايعه مجلس الشورى بالإجماع، كان حسن السيرة توفي مقتولاً سنة 294هـ.(أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص84).

الحكم ظهرت عدة قوى منافسة له في تيهرت كعمه وأخيه وجماعات العرب والقبائل غير الإباضية وجمهور المتدنيين.[1]

ويبدو أن جهود هؤلاء أجبرت أبا حاتم أن يصف تيهرت بأنها ليست دار قرار وخرج منها رفقة أتباعه من الرستميين والنصارى[2] وأهل نفوسة[3] وصنهاجة[4]، واستمر في سياسته على كسب الأتباع فأعطى الأموال[5]. واعتمد كذلك على عامله بجبل نفوسة " إلياس "، الذي كان بجانب والده في حروبه ضد أعدائه.[6]

ب– المرتزقة في دولة الأغالبة:

قامت دولة الأغالبة في المغرب الأدنى سنة 184-296 هـ/800-909م[7]، على يد إبراهيم بن الأغلب[8]، الذي حكم إفريقية في ظروف عسيرة، فلم يكن له سند عسكري كافي، مع كثرة خصومه الذين أعلنوا عليه حرباً ضروسا. ونتيجة لتلك الظروف قرر إبراهيم بن الأغلب من أول الأمر الاعتماد على قوة عسكرية من خارج البلاد تكون سندا له[9]، فاستكثر من الصقالبة، وأضاف إليهم بعد ذلك قوة من السود.[10]

وفي عهد إبراهيم بن الأغلب الثاني[11] قام بإعادة النظر في تنظيم الجيش الذي كان يظم عناصر متعددة، منهم العرب ومنهم من البربر، الذين كانوا يشكلون معظم الفرسان، وقد كان معظم هؤلاء الفرسان يستنفر القتال

---

(1) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د،س، ص68.

(2) نفس المرجع، ص69.

(3) هي جبال في المغرب عالية نحو ثلاثة أميال طولاً، وبينها وبين طرابلس ثلاثة أيام، وجميع أهل هذه الجبال شراة وهيبة وإباضية متمردون عن طاعة السلطان.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج05، ص297).

(4)من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد، إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس بن بر، وعند نسابة العرب هم من كتامة حمير.(أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص219).

(5) جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص69.

(6) الدرجيني، المصدر السابق، ص84.

(7) محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في الشمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام297-567هـ/910-1171م، دار النفائس للطباعة والنشر، ط02، بيروت، لبنان، 2007، ص32.

(8) هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي، كان فقيها أديباً وشاعراً خطيباً ذا رأي ونجدة وبأس وجزم لم يول لإفريقية أحسن سيرة منه ولا أحسن سياسة، طاعة له قبائل البربر، واستقرت إفريقية في أيامه.(أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج01،ص130).

(9)حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط01، القاهرة، 1997، ص96-97.

(10) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح محمد زينهمو محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،، دم ط، 1994، ص29.

(11)هو الحاكم التاسع من حكام هذه الدولة الأحد عشر، تولى الحكم في جمادى الأولى سنة 261هـ-874م خلفاً لأخيه محمد بن محمد.(أنظر: ممدوح حسين، إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، دار عمار، الأردن، 1997، ص13).

عند الحاجة[1]، وكان نفور هذه العناصر بعضها من بعض يسبب المتاعب للأمراء، لذلك حاولوا منذ وقت مبكر التقليل من اعتمادهم عليهم ، وتجنيد عناصر جديدة في الجيش، لذلك استخدم إبراهيم الأول مؤسس الدولة العبيد السود كحرس شخصي، ثم استكثر منهم حتى بلغ عددهم في عهده عشرة ألاف جندي، وأصبحوا قوة لا يستهان بها في الجيش الأغلبي.[2]

و منذ الوهلة الأولى ارتبط هؤلاء الصقالبة برابطة الولاء للأغالبة، فشعروا بمكانتهم وأهميتهم، وزادت تلك الرابطة في عهد أبي الغرانيق[3]، وأصبحوا قوة لا يستهان بها داخل الدولة، وهو ما زاد في طموحاتهم ونفوذهم بل استبدادهم وتمردهم في أحيان كثيرة [4] إذ أنهم أرادوا في الحكم طفلاً يسيرونه حسب مشيئتهم، ثم تمردهم عليه، حينما انتقل إلى رقادة[5]، وترك قسماً كبيراً منهم في العباسية[6]، لأن ذلك أبعدهم عن مركز الدولة وبالتالي أبعدهم عن المشاركة في توجيهها وحرمهم من الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها، وعلى ذلك رأى الأمير إبراهيم أنه لمواجهة الحوادث والمشاكل التي ثارت في وجهه، لابد من الاعتماد على عنصر جديد يدين له بالطاعة المطلقة، فعاد إلى استخدام العبيد السود مقتدياً في ذلك بجده إبراهيم الأول[7]، وقد عبر عن ذلك هوبكنز بقوله "...وفي سنة 264هـ/877م وجد إبراهيم الأول لزاماً عليه التخلص من مواليه الذين ثاروا عليه و استبدلوهم بالعبيد الذين ظهر منهم الشجاعة والقوة والجد...).[8]

02- المرتزقة في الدولة الفاطمية:

قامت الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى سنة 296-362هـ/909-973م،[9] على يد أبي عبد الله

---

(1) ممدوح حسين، المرجع السابق، ص37.

(2) نفس المرجع، ص38.

(3) هو محمد بن أحمد بن الأغلب، كان غاية في الجودة والسخاء وحسن السيرة. وكانت في أيامه حروب عظيمة، وفتحت جزيرة مالطة، وأسر ملكها في جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين.(أنظر: ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تح: سيد كسرودي حسن، دار الكتب العلمية، د،ط، بيروت-لبنان، ج02، ص305).

(4) ابن عذارى، المصدر، السابق، ج01، ص164.

(5) هي مدينة مستحدثة خارج القيروان وبالقرب منها أستخدمها آل الأغلب لمعسكرهم، كما قام بها المهدي أول الخلفاء الفاطميين.(أنظر: أبا الفداء(عماد الدين إسماعيل)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، دس، ص143).

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص 164.

(7) ممدوح حسين، المرجع السابق، ص39.

(8) هوبكنز، المرجع السابق، ص141.

(9) سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2004، ص133.

الشيعي[1]، بعدما أن اختاره ابن حوشب[2] قائلا له "إن أرض كتامه في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبا سفيان وقد ماتا وليس لك غيرها فبادر فإنها موطأة ممهدة لك " [3]. فنزل عبد الله الشيعي بالقيروان وأثبت دعائم الحكم بها[4] وأرسل إلى عبيد الله المهدي[5] للمجيء إلى القيروان، فشد هذا الأخير رحله متوجهاً إلى مصر ثم برقة ثم طرابلس، إلا أن وقع في أسر بني مدرار أمراء سجلماسة.[6]

لما بلغ الخبر إلى عبد الله الشيعي جهز جيشاً ضخماً حطم به دولة بني مدرار وخلص عبيد الله المهدي من السجن، وفي طريق عودته مر جيشه بتيهرت وأزال دولة بني رستم في عام 297هـ-910م وأصبح المغرب الأوسط إلى تلمسان جزء من الدولة الفاطمية.[7]

وضع عبيد الله المهدي ثقته الكاملة في الجنود المرتزقة الدين استكثر منهم واعتز بهم وقد تشكل هؤلاء المرتزقة من الصقالبة والخصيان الذين استخدموا في القصر[8]، ومن أشهر هؤلاء الذين خدموا الفاطميين الأستاذ جوذر الصقلي[9] الذي عينه عبيد الله مؤدباً لابنه أبي القاسم ووهبه له، ولم يكن جوذر الصقلي وحيداً بين عبيد الفاطميين، فقد جلبوا كثيراً من الصقالبة الذين ما لبثوا أن قبلوا الفكر الفاطمي، وعينوا في أعلى المراتب، ومنهم جوهر الكاتب الملتصق اسمه بفتح مصر[10] وسردر وصافي وشفيع وقيصر...إلخ. وكلهم معروف بنسبه إلى أصله الصقلي[11]، وكان الصقالبة من الأولياء الأوائل، فمنذ أن خرج المهدي من سلمية كان معه مجموعة من الحرس من

---

(1) علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، دم ط، 1972، ص04.

(2) هو أبو القاسم الحسن فرج بن زدان الكوفي، يلقب بمنصور اليمن أكتسبه بعد نجاحه في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن.(أنظر: سيف الدين القيصر، إبن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، دس، ص32-33).

(3) المقريزي(تقي الدين أحمد)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، دط، دب، دس، ج01، ص55.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط02، 1986، ص293.

(5) هو عبيد الله أبو محمد، أول من أقام من خلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قبلوا الإسلام وأعلنوا بالرفض، كان من أهل سلمية، وكان موته في النصف من ربيع الأول سنة اثنين وعشرين وثلاث مئة، وله اثنان وستون سنة، وكانت دولته خمس وعشرين وأشهر.(أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص141).

(6) إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب(القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985، ص158.

(7) حسن مؤنس، المرجع السابق، ص144.

(8) نفس المرجع، ص147.

(9) أصله صقلي من أواسط أوروبا، جاء إلى تونس عن طريق الرق الأوروبي الأبيض الذي اتجر فيه يهود العصور الوسطى مع أرباب الدولة الإسلامية العتية بشمال إفريقية ومصر والشام.(أنظر: العزيز الجوذري(أبو على منصور)، سيرة الأستاذ جوذر، تح محمد كمال حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1955، ص178).

(10) العزيزي الجوذري، المرجع السابق،ص178.

(11) نفسه.

بعض النصارى المسخرين أنفسهم قلباً وقالباً لخدمة مولاهم سواء كانوا عبيد أم موالى، فإنهم سيحتلون المكانة الأولى في الجيش الفاطمي، وسيوفرون سلكاً ممتازاً مهمته إما في تأطير الكتائب أو في حراسة الإمام في ساحة الوغى.[1]

وفي عهد المنصور[2] قاموا بدور متميز في تنظيم الجيش طوال الحملة التي قام بها المنصور بنفسه على التمرد الخارجي، من أشهر قادة الجيش الفاطمي جوهر الصقلي الذي أحرز مجداً عظيماً، حيث تمكن من فتح فاس وسجلماسة ثم توقف بعد ذلك عشر سنوات إلى أن سيطر على مصر والشام وأسهم في تأسيس الدولة التي طالما حلم بها الفاطميين على امتداد الواد الكبير غرباً إلى ضفاف النيل شرقاً، وكان الصقالبة الآخرون الذين أطلق عليهم المنصور اسم العبيد مميزاً بينهم وبين الزويلين أي العبيد السود، فقد كانوا يحاربون على حدة بقيادة أحد أبناء جنسهم الحسن بن رشيف الريحاني، الذي انتصر على أبي يزيد إمام السوسة[3]، وكانوا يقومون أثناء الحرب الحصار بأعمال شاقة مثل الهدم.[4]

تزايدت أعداد الصقالبة في بلاطات الخلافة الفاطمية حتى وصل العديد منهم إلى مراكز قيادية في الجيش الفاطمي[5]، فأطلق عليهم لقب "خادم" أو"خادم الإمام" وقد حفلت الحقبة المغربية للدولة الفاطمية بأسماء العديد من القادة الصقالبة برز منهم القائد شفيع الصقلي أحد أمراء الجيش الفاطمي الذي حارب فضل بن أبي يزيد، ثم صارت له مكانة مرموقة عند المعز الفاطمي[6]، ثم إزادت أهمية الصقالبة عند الخلفاء الفاطميين فقد عملوا كالأمراء وحضوا بمكانة متميزة نظيراً لولائهم التام للخلفاء[7]، حيث أشار صاحب أخبار ملوك عبيد سيرهم قائلا "...ومن

---

(1) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م)، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص541.

(2) هو أبو الظاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي الباطني صاحب المغرب، ولي بعد أبيه، كان بطلاً شجاعا ومن محاسنه أنه ولى محمد بن أبي المنظور الأنصاري قضاء القيروان، خرج في رمضان سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة إلى مكان يتنزه فأصابه برد وريح عظيم، فأثر ذلك فيه ومرض ومات عدد كثير ممن معه ثم مات هو في سلخ شوال من السنة وله تسع وثلاثون سنة.(انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص156-158).

(3) هي مدينة قديمة من بلاد إفريقية،فيها أثار للأول،وهي على ساحل البحر وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب وكان بين أهلها وبين أهل المهدية في القديم مشاحنة مشهورة. (انظر:الحميري، المصدر السابق، ص331).

(4)فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص542.

(5) حازم وطن هندي، قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عصر الدولة الفاطمية، مجلة الأستاذ، مج01، العدد18، بغداد، 2016، ص26.

(6) هو المعز لدين الله أبو تميم معد بن منصور إسماعيل بن القائم العبيدي المهدوي المغربي، الذي بنيت القاهرة المغرية له، كان صاحب المغرب، وكان ولي عهد أبيه ولي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة، سار في نواحي إفريقية يمهد ملكه مات المعز في ربيع أخر سنة خمس وستين وثلاث مئة بالقاهرة المعزية. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، 15، ص159-166).

(7) حازم وطن هندي، المرجع السابق، ص26.

الغريب في أمر الفاطميين إيثارهم لليهود والنصارى في أخطر منصب لديهم وهو منصب الوزارة، بحيث ارتبط هذا المنصب الخطير لهم...بل أن (داعي الدعاة) لهم في بعض العصور كان من النصارى، زرعة بن سنطروس، وأخوه صاعد بن عيسى بن ستطورين، وأبو سعيد في خلافة المستنصر).[1]

وتتضح مكانة الصقالبة عند المعز الفاطمي في إحدى مجالسه حيث لم ينس أن يؤكد دور الصقالبة المهم في حربه ضد أبي يزيد الخارجي[2]، فبعد أن ذكر دور كتامة وبين فضلهم أشاد بالصقالبة قائلاً "...وليس سبقهم – كتامة –وفضلهم مما ينقص فضل من جاء من بعدهم من عبيدنا وأنصارنا–الصقالبة– فجاهد ونصروا لنصح لنا..." [3].

كما استعان الفاطميون بالعبيد السود، الذين كانت مكانتهم تقل كثيراً عن مكانة الصقالبة، إذ عهد بقيادتهم إلى قائد صقلي بعد أن كانت قيادتهم لقائد منهم يدعى صندل[4]، وشارك هؤلاء العبيد في بعض المعارك المهمة التي قام بها الجيش الفاطمي، فكانوا في ضمن حملة القائم الفاطمي الأول على مصر، وقد وقع عدد كبير منهم في الأسر، وقتلوا مع أسرى كتامة، وشاركوا في الجيش الفاطمي أثناء حصار[5] أبي يزيد لمدينة المهدية.[6] كما استعان بهم الخليفة المنصور الفاطمي أيضا في إحدى معاركه ضد أبي يزيد عندما وزعهم على الخندق الذي أمر بحفره حول معسكره[7]، ويبدو أن دور هؤلاء العبيد قد استمر في الجيش الفاطمي فنجدهم قد شاركوا في حملة جوهر الصقلي على مصر، وعندما بنيت القاهرة اختطت كل قبيلة من القبائل المشاركة خطة لها فاختط الزويليون خطتهم التي عرفت منها باب زويلة وحارة زويلة.[8]

---

(1) عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك عبيد وسيرهم، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، دس، ص28.

(2) هو من بنى داركو إخوة مرتحيصة، وكلهم من بطون بني يفرن، وكنيته أبا يزيد، واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا، وكان كيداد والده يختلف إلى بلاد السودان في التجارة، فولد له أبو يزيد بركركوا من بلادهم.(انظر: ابن خلدون، العبر، ج07، ص18).

(3) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تح محمد اليعلاوي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996، ص 247.

(4) إدريس عماد الدين، المرجع السابق، ص153.

(5) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص546.

(6) هي مدينة استحدثها المهدي عبيد الله أول خلفاء الفاطميين وهي شرقي سوسة، وجعلها كرسي مملكة إفريقية، وهي على طرف داخل كهيئة كف متصل يزيد والبحر محيط بها.(انظر: أبا الفداء، المصدر السابق، ص145).

(7) إدريس عماد الدين، المرجع السابق، ص 306.

(8) حازم وطن هندي، المرجع السابق، ص 25.

03- المرتزقة في الدولة الزيرية:

لما قرر المعز لدين الله الفاطمي الانتقال من المغرب إلى مصر سنة 362هـ/973م[1]، فكر فيمن يوليه أمر إفريقية والمغرب ويثق به، فعين بلكين بن زيري[2] خليفة له بشرط أن يبقى تابعاً له[3]، وهكذا أصبح بلكين بن زيري أميراً شبه مستقل لكل بلاد أفريقية بأقسامها الثلاث طرابلس وإفريقية وبلاد الزاب وما يفتحه من بلاد المغرب الأوسط، وفي سنة 436هـ-1043م، أصبحت الدولة الزيرية مستقلة تماما عن الدولة الفاطمية وكان ذلك في عهد المعز بن باديس.[4]

كان الأمراء الصنهاجيون مضطلعون بمهمة القيادة العامة للجيش ويشرفون بأنفسهم على سير العمليات الحربية ويختارون قوادهم بأنفسهم، واستعملوا الكثير من المرتزقة في جيوشهم من العبيد السودان، فكان لكل فرد من أسرة بني زيري حرس خاص مؤلف في معظمه من العبيد المخلصين قلباً وقالباً.[5]ولم يكن جيش بني زيري يضم العبيد الزنوج فحسب بل كان يضم أيضا المسيحيين الذين انتدب عددهم من بين الأسرى الذين قبض عليهم قراصنة المهدية.[6]

أصبح للمرتزقة في الجيش مكانة هامة في بلاط الأمراء الزيريين، بحيث أن مرتزقة باديس[7] كان لهم الفضل في تولية ابنه المعز[8]، وأيدوا بكل قوة حق المعز الصغير بالولاية خلفا لوالده باديس[9]. وقد عبر ابن عذاري على ذلك بقوله " فلما شعروا أن خرج الخبر من مدينة المحمدية[10] بوفاة السلطان، وأنهم أغلقوا أبوابهم وصعدوا على

---

(1) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص245.

(2) يكنى بأبي الفتوح ولقب بسيف الدولة وهو أول بربري حكم في المغرب، توفي سنة 373هـ في طريق عودته إلى إفريقية.(أنظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص205).

(3) ابن خلدون، العبر، ج06، ص212.

(4) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص155.

(5) الهادي الروجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،، لبنان، 1992، ج01، ص139.

(6) نفس المرجع، ص379.

(7) تولى الإمارة بعد أبيه المنصور سنة 386هـ، وتوفي 28 ذي القعدة من سنة 406هـ.(أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص260، 290).

(8) بويع ابن ثمان سنين بعدما توفي والده باديس، توفي سنة 354هـ.(أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص1632).

(9) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص 291.

(10) مدينة بنواحي الزاب من أرض المغرب، ومدينة المسيلة بالمغرب يقال لها أيضا المحمدية، اختطها محمد بن المهدي الملقب بالقائم أيام والده، وذلك أنه لما مر والده بموقع بالمسيلة أعجبه وبنا المدينة به وسماها المحمدية باسمه.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج05، ص64.

أسرارهم فظهر ما لم يستطيعوا إخفاءه، فكلما نودي الناس بإقامته فاضطربت العساكر وماج بعضهم في بعض وخشوا من اختلاف الكلمة فاجتمع رأيهم على تقديم كرامة[1]، فأخذ عليهم العهود وأمر بالكتب إلى بعض البلاد فلما رأى ذلك عبيد نصير الدولة ومن إنضاف إليهم من سائر الحشم أنكروا ذلك وقالوا: "إنما قدمناه ليحوط الرجال ويحفظ الأموال حتى يدفع ذلك إلى مستحقه المعز بن مولانا نصير الدولة " [2]. واشترى المعز 3000 عبد، بحيث أنه كان يطلق على قائد أسود من عبيد المعز اسم عنبر[3]. وفي سنة 448هـ/1057م جرت معارك طاحنة بين عبيد المعز بن باديس وابنه تميم[4]، فقامت عامة زويلة ومن كان بها من البحريين وغيرهم معاضدة لعبيد تميم فهزموهم وأخرجوهم من المهدية[5]. وقتل تميم عبيد أبيه بالمهدية، بلغ عددهم سبع مائة وكلن المحرك لقتلهم واستئصالهم قصيدة محمد بن حبيب التي أولها:

السيف يسبق قبل الحادث العذلا لا تغمد السيف حتى تقتل السفلا

بقّـــل عداتك مـــن دنيا لآخرة فكلهم ظـــن هذا الملك منتقلا.[6]

كما أن تميم بادر إلى زيادة ما تبقى من حرس أبيه حينما تسلم مقاليد الحكم بحيث أنه، وفي سنة 480هـ تغلب جند المرتزقة من النصارى على المهدية ونزلوها في 3000 مركب وثلاثين ألف مقاتل واستولوا على زويلة فبذل لهم تميم في النزل عنها مائة ألف دينار بعدما أن نهبوا جميع ما كان بها.[7]

و بعد وصول الحسن[8] إلى العرش فرق المال على العبيد والأجناد أي المرتزقة وكان أغلب أولئك من النصارى[9]، وخادمه صندل كان هو من تكفل بدولته.[10]

---

(1) ؤبن المنصور أخو باديس. (انظر: إبن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص291).

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص291.

(3) الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص139.

(4) ولد بالمنصورية سنة 422هـ، وولي المهدية سنة 446هـ، كان حازماً عازماً وشاعراً دامت ولايته 46سنة، توفي سنة 451هـ وعمره 79سنة.(انظر: ابن عذارى، المصدر السابق،ج01، ص352،327).

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص321.

(6) نفسه.

(7) ابن خلدون، العبر، ج06، ص212.

(8) فوض إليه أبوه الأمر في حياته وعمره إثنتا عشر سنة، ومولده كان سنة 502هـ، ولما مات أبوه دخل الناس مهنئين إليه بالملك، وبقي مالكاً للمهدية وبلاد تلك الجهات إلى سنة 543هـ.(انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص342- 343).

(9) الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص140.

(10) ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص342؛ ابن خلدون، العبر، ج06، ص214.

04- المرتزقة في الدولة الحمادية:

لما توفى بلكين بن زيري خلفه ابنه المنصور [1] كخليفة للفاطميين على إفريقية والمغرب، وبعد وفاة المنصور سنة 386هـ/996م، خلفه ابنه باديس على العرش[2]، الذي عهد إلى حماد[3] بحرب قبيلة زناته البربرية والوقوف في وجه القبائل التي ثارت على حكم بني زيري، وفي مقابل هذا سمح له بحكم كل مدينة يفتحها، فحقق حماد انتصارات ضد الثوار، واختط لنفسه مدينة القلعة[4] سنة 398هـ/1007م بجبل كتامه[5] وأحاطها بأسوار، وكانت ذات موقع إستراتيجيا هام[6]. وفي عهد المعز بن باديس جرت حرب بينه وبين وحماد بسبب أن هذا الأخير دعا إلى العباسيين دون الفاطميين، وانتهت الحرب بهزيمة حماد، وعند وصوله إلى القلعة أرسل رسولاً إلى المعز للاعتذار، وجرت بينهما مفاوضات أدت إلى استقلال حماد بعمل المسيلة والزاب[7] وأشير[8] وطبنة، وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب، كما استقل بطبنة، ومرسى الدجاج[9] وبلاد زواوة ومقرة[10] ودكامه[11] وبلزمة[12] وحمزة[13]. وهكذا أصبح حماد بن بلكين بحكم الاتفاق مع المعز بن باديس أميراً مستقلاً على المغرب الأوسط.[14] وجعل القلعة عاصمة لملكه، ويعود سبب بناء حماد للقلعة تدعيم مركزه السياسي والمادي، وكذا العسكري[15].

---

(1) كان والياً بأشير، ولما توفي والده خلفه سنة 373هـ، وقلده العزيز أمر إفريقية والمغرب، توفي سنة 385هـ.(أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص1632).

(2) ابن خلدون، العبر، ج06، ص204.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، نشأ وترعرع في القلعة، توفي بمراكش سنة 617هـ-1220م.(أنظر: رافعي نشيدة، شخصية ابن حماد الصنهاجي 628هـ صاحب أخبار ملوك بني عبيد، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، ص353).

(4) هي قلعة واقعة في المغرب الأوسط قريبة من مدينة المسيلة وبينها وبين بجاية مسيرة أربعة أيام.(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص469.

(5) كمال شيانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة، 2003، ص112.

(6) نفســــــــــه.

(7) مدينة على أطراف الصحراء وسميت بالبلاد الجريدية.(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص112).

(8)مدينة بالمغرب في طرف إفريقية الغربي وكان أول من عمرها زيري بن مناد.(انظر: الحموي، المصدر السابق، ج01، ص202).

(9) يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وضرب سور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها ولأسواقها وهي تخرج من مدينة أشير.(انظر: البكري، المصدر السابق، ص 64).

(10)مدينة بالمغرب قريبة من قلعة بني حماد.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج05، ص459).

(11)بلد بالمغرب يسكنه البربر.(انظر: الحموي، المصدر السابق، ص270).

(12)حصن لطيف وفي أهله عزة ومنعة ولها... وسوق، وبها أبار طيبة وماءها غدق.(انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص270).

(13)مدينة عليها سور وخندق، وبها أبار عذبة، وهي لصنهاجة وهي مدينة صغيرة على جبل.(انظر: البكري، المصدر السابق، ص165).

(14) رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص34.

(15) أمال لبيض وسعاد بانوح، النظام السياسي والإداري للدولة الحمادية 408-547هـ/1017-1153م، أطروحة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط البويرة، 2015، ص17.

حيث ضمت الدولة الحمادية في جيشها فرقة الروم والصقالبة من المرتزقة، يتم شراءهم من مجمل الأسرى المسيحيين، أو ممن اعتنقوا الإسلام نتيجة لتسامح الديني الذي مارسته الدولة الحمادية بأمصارها، خاصة بعاصمتها الأولى القلعة، أما فرقة السودان تتشكل من العبيد الذين يجلبون من بلاد السودان بفعل حركة التجارة الحيوية بين القلعة وبجاية[1]، وغيرها من الأمصار، إذ تم اختيارهم تبعاً للمواصفات الجسدية وقوة التحمل والصبر الذي يمتازون بها بعد إخضاعهم لعمليات التدريب المختلفة التي يباشرها قادتهم، مما يضمن ولاءهم للملك ويجعلهم أكثر تقرباً منه إذ هي بمثابة قوات خاصة تلازمه بشكل دائم في إقامته وترحاله، أو نشاطه العسكري في المعارك التي يتولى قيادتها بنفسه فيكون بذلك في مأمن وحمايته من أي طرف يترصد أو يسعى للغدر به.[2]

وفي الأخير نستنتج أن بلاد المغرب الإسلامي عرفت ظهور الارتزاق منذ البدايات الأولى للقرن الثاني الهجري، حيث وظف هؤلاء المرتزقة سواعدهم في الجيوش المغربية خاصة في فترة الدول المستقلة وذلك من أجل الحصول على أرباح مادية مقابل خدماتهم وأعمالهم التي تمثلت بصفة عامة بالمشاركة في الحروب والمعارك أو في حراسة السلطان داخل القصر، فنجد أن كل من الأمراء الرستميين قد استعانوا بخدماتهم وجهودهم العسكرية وكان الأغالبة أيضاً قد استكثروا منهم في الجيش ومنحوهم العناية الكاملة بالإضافة إلى الفاطميين الذين برز في عهدهم كبار قواد المرتزقة كما تسنى لكل من الزيريين والحماديين أن استفادوا من خدماتهم.

---

(1) مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في حدود سنة 457هـ، بناها وصيرها دار ملكه ولهذا تسمى الناصرية، وهي مرسى عظيم تحط به السفن من كل جهة.(انظر: الحموي، المصدر السابق، ج01، ص339؛ الحميري، المصدر السابق ص 81).

(2) موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/ 1014-1152م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، 2001،ص14.

المبحث الثاني:

المرتزقة في دولة المرابطين والموحدين

1- المرتزقة في جيش المرابطين.

أ- عهد يوسف بن تاشفين (454هـ-500هـ/1062-1106م)

ب- عهد علي بن يوسف ابن تاشفين(500-537هـ)

ج- عهد تاشفين بن علي(537-539هـ/1143-1145)

2- المرتزقة في دولة الموحدين.

أ- عهد عبد المؤمن بن علي(524هـ-1130م)

ب- عهد أبو يعقوب يوسف (558هـ-1169م/580هـ-1184م)

ج- عهد أبو يوسف يعقوب (المنصور) (563-595هـ/1184-1199م)

د – في عهد خلفاء أبي يعقوب المنصور(595هـ – 646هـ/ -1199 – 1148م)

استعان الأمراء المسلمون بالمرتزقة في جيوشهم منذ بداية الدول المستقلة. وبدأت أعدادهم تتزايد تدريجياً عند كل من دولتي المرابطين والموحدين اللّتان فتحتا المجال للمرتزقة وخاصة المسيحيين، فأصبحت لديهم العديد من الامتيازات، وقويت شوكتهم وتحكموا في الجيش.

1– المرتزقة في دولة المرابطين:

لما توفي عبد الله بن ياسين[1]، تولى الحكم بعده أبو بكر بن عمر[2] ورأى أن يختار عاصمة لملكه[3]، وسرعان ما اختار الموقع وشرع في بناء عاصمته الجديدة، ولما بلغه ما كان بين قبيلة جدالة ولمتونة من صراع أعلن الحرب ضدهم، وسار للقائهم، واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين[4]، فأقام هذا الأخير مدبراً للأمور قائماً بالملك، واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر برحبة مراكش، وغلب على أكثر بلاد المغرب بعدما غزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة، حتى دخلت في طاعته معظم البلاد المغربية[5]، معلنا بذلك قيام الدولة المرابطية عام 454هـ-1062م، واتخذ مراكش[6] عاصمة له.[7]

كانت الدولة المرابطية دولة عسكرية منذ نشأتها، واستمرت كذلك بعد أن توطدت أركانها واتسعت حدودها وازدهرت حضارتها، وتطور نظام الحكم فيها. وبالرغم من ذلك ظلت الصفة العسكرية تغلب عليها، وظل الجيش[8]، الذي تكون من متطوعة ومرتزقة أساس قوامها.[9]

---

(1) هو عبد الله بن ياسين الجزولي، المؤسس الروحي لدولة المرابطين، توفي سنة 46هـ.(أنظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص243).

(2) هو أبو بكر بن عمر تلاكاكين بن روتانطق اللمتوني المحمدي، تولى الحكم بعدما قدمه عبد الله بن ياسين فبايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم، توفي في إحدى غزواته في بلاد السودان عن طريق سهم مسموم سنة480هـ- 1087م.(أنظر: ابن أبي الزرع(أبو الحسن علي بن عبد الله)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ددط، دم ط، 1243، ص134-135).

(3) الناصري، المصدر السابق، ج01، ص106.

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص23.

(5) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص138.

(6) هي أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، أول من أختطها يوسف بن تاشفين، سنة 470هـ، ومراكش معناه بالبربرية أسرع المشي.(أنظر: الحموي، المصدر السابق، ص94).

(7) ابن خلدون، العبر، ج06، ص200.

(8) أحمد المختار العبادي، المرجع السابق،ص104.

(9) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تخليص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949، ص132.

تشكلت عناصر المرتزقة في الجيش المرابطي من العبيد السودان، وجعل منهم الأمراء حرصهم الخاص[1]، واستمر هذا العنصر يتردد ذكره في حروب المرابطين حتى نهاية دولتهم.[2]

بالإضافة إلى النصارى الذين شغلوا في البداية منصب الحرس الأميري[3]، ثم توسع استخدامهم كجنود مرتزقة وأقدموهم على جباية المغارم، والأغراض الحربية[4]، وقد وصل عددهم في أواخر العصر المرابطي إلى حوالي أربعة آلاف.[5] كما تذكر بعض الروايات وجود الغز كمرتزقة في الجيش المرابطي.[6]

أ- عهد يوسف بن تاشفين (454هـ-500هـ/1062-1106م)

اعتمد يوسف بن تاشفين في جيشه على المرتزقة من العبيد السودان والنصارى، حيث أنه بعث إلى الأندلس واشترى نحو مائتين وأربعين علجاً[7]. وهذا ما عبر عليه ابن عذارى المراكشي بقوله : " وفيها قوى أمر الأمير يوسف وعظمت شوكته، فأشترى جملة من العبيد السودان وبعث إلى الأندلس فابتيع له جملة من الأعلاج فأركب الجميع وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارس "[8]، وأتخذ منهم فرقة خاصة لحرسه بعدما شاهد من كفاءاتهم في خدمة ملوك الطوائف[9]، كما أن معركة زلاقة[10] وفرت عدداً كبيراً من الأسرى المسيحيين الذين بلغ عددهم نحو عشرين ألفا نقلوا جميعاً إلى بلاد العدوة واستخدمتهم الدولة المرابطية كمرتزقة[11]، واشترى مجموعة من السودانيين بلغ عددهم نحو ألفين فارس يقول، كما يقول صاحب الحلل الموشية: "واشترى من العبيد السودان نحو ألفين فأركبهم فرساناً فغلظ حجاب وعظم ملكه" [12].

---

(1) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ج01، ص207.

(2) أحمد مختار العبادي، المراجع السابق، ص105.

(3) نفس المرجع، ص106.

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص84.

(5) نفس المصدر، ص131.

(6) الناصري، المصدر السابق،ج01، ص108.

(7) ابن عذارى، المصدر السابق، ص19.

(8) نفسه.

(9) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص109.

(10) وقعت هذه المعركة سنة 479هـ-1086م في موقع يعرف بالزلاقه في الأندلس بين المسلمين والنصارى وانتصر فيه المسلمون انتصارا عظيماً. (أنظر: ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص146-147).

(11) إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص69.

(12) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص25.

ولم يقتصر الأمر على هذا العدد [1]، فقد تواجدت أعداد كبيرة للعنصر السوداني في الجيش المرابطي، حيث يشير المقري إلى مشاركة حوالي أربعة ألاف جندي في معركة الزلاقة الشهيرة[2]، وقد نقل المقري وصفاً لهم فقال في ذلك: "ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة ألاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط، وسيوف الهند ومزاريق الزن، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها، وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش (ألفونسو السادس) بأسود نفدت مزاريقه، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود وقبض على عنانه، وانتهى خنجراً كان متمنطقاً به، فأثبته في فخذه، فهتك حلق درعه، ونفذ من فخذه مع بداد سرجه، وكان وقت الزوال، وهبت ريح النصر"[3]. فكانت هذه الفرقة تدخل المعركة في لحظاتها الأخيرة لتنزع النصر من الأعداء وهذا ما وضح جلياً في معركة الزلاقة في الأندلس حينما أمرهم يوسف بن تاشفين في اللحظة الحاسمة بالانقضاض في المعترك بأسلحتهم.[4]

ب– عهد علي بن يوسف ابن تاشفين (500–537هـ):

سار علي بن يوسف على نفس سياسة سابقيه فيما يخص الاعتماد على المرتزقة في الجيش، وقد ورد في كتاب الحلل الموشية أن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين استخدم الفرسان المسيحيين وعهد إليهم بجباية المكوس وتحصيل الضرائب "...فأركبهم وقدمهم على جباية المغارم".[5]

كما ضم علي بن يوسف إليه الكثير من أسرى الحروب وشارك بهم حروبه ضد الموحدين[6]، وكانت طائفة المرتزقة النصارى شوكة في ظهر الدولة المرابطية، وذلك عندما عملوا على إحداث الشغب بكل الوسائل وتشجيعهم لكل خلاف وثورة، ولم يدخروا وسعاً في الكيد بالمسلمين والتآمر على سلامة أمن الدولة[7]، ونقض

---

(1) عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480هـ-450هـ/1056م-1145م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 1429- 1430هـ/2008-2009م، ص42.

(2) المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج04، ص367-368.

(3) المقري، المصدر السابق، ص368.

(4) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص108؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص33.

(5) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص97.

(6) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص70.

(7) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص130.

العهد والخروج من الدين[1]. وقد ظهرت خيانتهم عندما ساعدوا ألفونسو الأول Alfonso ملك اراغون في حملته ضد غرناطة[2] سنة 519هـ. فخرج القاضي أبا الوليد بن راشد إلى حضرة مراكش، لإخبار علي ما جرى من النصارى وتحالفهم ضد المسلمين، فأمر بتغريبهم إلى بلاد العدوة، ويقول في ذلك صاحب الحلل الموشية: "ولحق الأمير علي بن يوسف بحضرة مراكش فبين له الأمر وما عني به النصارى المعاهدين[3] وما جنوه عليها من استدعاء الروم وما في من نقض العهد والخروج عن الذمة وأفتى بتغريبهم وإجلائهم إلى العدوة من أوطانهم وهو أقل ما يؤخذ من عقابهم".[4] فهلك معظمهم ومنهم من دخل في جيش علي بن يوسف[5] بعدما أعلنوا توبتهم وعاهدوه على الإخلاص[6] وأنشأ منهم فرقة خاصة في الجيش أسدت إليه خدمات طبية في حربه[7]، وكانت لهذه الفرقة قائد يدعى الروبرتير الذي أسر عن طريق عبد الله بن ميمون وأرسله إلى مراكش حيث رحب به السلطان علي وعينه قائداً على الفرقة الإسبانية في المغرب، واستمر هذا القائد يحارب في الجيش المرابطي إلى أن قتله الموحدون في إحدى المعارك في تلمسان[8] سنة 539هـ/1195م[9].

وبالرغم من ذلك فقد استخدم علي بن يوسف هذه الطائفة من الجند وأغدق عليهم الهبات والأعطيات ليتخذ منهم جند حراسة في مدن المغرب، فقد كانت خطته أن يستعين بالنصارى في ضبط أمن بلاد المغرب لأنهم أقل عرضة للأغراء أو تدبير مؤامرات مع أهل المغرب.[10]

---

(1) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص97.

(2) مدينة تقع جنوب الأندلس، بينها وبين قرطبة خمسة أيام. (انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج05، ص113-114).

(3) يقصد بهم النصارى المعاهدين LOS MOSARABES، كانوا يعيشون مع المسلمين في المدن الأندلسية ويزاولون نشاطهم وشعائرهم الدينية بكل حرية، ويشتغل الكثير منهم مناصب هامة في الإدارة والقصر.(أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ط02، القاهرة، 1990، ص409).

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص97.

(5) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص239.

(6) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص130.

(7) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص239.

(8) هي مدينة قديمة في المغرب الأوسط، وكانت دار مملكة زناته وغيرهم من البربر كبيرة الخصب والرخاء وهي مدينتان في واحدة ولها قرى كثيرة ومدن.(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص135).

(9) أحمد مختاري العبادي، المرجع السابق، ص112.

(10) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص41.

ج- عهد تاشفين بن علي (537-539هـ/1143-1145):

اعتمد تاشفين بن علي[1] في جيشه على المرتزقة من النصارى وقد استخدمهم في التصدي لخطر الموحدين،، ثم رجع إلى مراكش وكان ذلك سنة 534هـ. "وفي هذه السنة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناته لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الروبرتير".[2]

وفي أواخر أيام الدولة المرابطية ازداد عدد المرتزقة النصارى حيث وصل إلى أربعة آلاف فارس، وعندما هزم الموحدون تاشفين بن علي سنة 538هـ، استنجد هذا الأخير بالأقطار يستدعي أهلها فوصله عسكر سجلماسة وعسكر الإمداد من بجاية ووصل الأندلس ابنه الأمير أبو إسحاق[3]، فولاه عهده وكان عنده من الروم نحو أربعة آلاف فارس[4]، وبعد سقوط دولة المرابطين انضم المرتزقة النصارى إلى صفوف الموحدين بعدما سهلوا عليهم دخول مدينة مراكش.[5]

02- المرتزقة في دولة الموحدين:

قامت الدولة الموحدية سنة 524-668هـ/1130-1269م[6]، في المغرب الأقصى[7] على يد محمد بن تومرت[8] الذي أظهر دعوته إلى القبائل فانظم إليه منها الكثير حتى صاروا قوة، فأخذ يناوئ المرابطين حتى قضى على دولتهم واعلن قيام دولة الموحدين، واتخذ من مراكش عاصمة لها.[9]

---

(1) هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، ولي بعد وفاة أبيه سنة 537هـ /1143م. توفي سنة 539هـ / ل1145م. (أنظر: ابن أبي الزرع،، الأنيس المطرب، ص166).

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج03، ص82.

(3) هو إبراهيم بن تاشفين كنيته أبو إسحاق ولاه أبوه عهده وهو مقيم بوهران في محاربة الموحدين، ووجهه إلى مراكش وأصحبه جماعة من لمتونة، فبويع له بمراكش بعد وفاة أبيه. توفي سنة 548هـ. (أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص135وما بعدها).

(4) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص131.

(5) عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص41.

(6) كمال شبانة، المرجع السابق، ص51.

(7) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص203.

(8) هو محمد بن تومرت وأصله من هرغة يسمى أبوه عبد الله وتومرت، وكان يلقب في صغره أيضاً أمغاراً كانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة وشب المهدي قارئاً محباً للعلم، كانت وفاته يوم الأربعاء لثلاثة عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة. (أنظر: الناصري (أبو العباس أحمد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج02،ص142).

(9) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص33.

استكثر الموحدون من النصارى في جيوشهم كفرقة خاصة وحرص لدى الخليفة ويعود سبب ذلك إلى طريقة النصارى في القتال، فصفة الحروب الواقعة بين الخليفة نوعين: نوع الزحف صفوفاً ونوع الكر والفر، فالزحف هو قتال النصارى كلهم على تعاقب أجيالهم، ولهذا اتخذ الموحدون طائفة منهم في الجيش.[1]

أ- عهد عبد المؤمن بن علي 524هـ-1130م:

توجه الأمير عبد المؤمن بن علي الكومي[2] سنة 541هـ/1147م، إلى مراكش حاضرة المرابطين، وما إن وصلها حتى ضرب عليها حصارا شديدا، ووضع الكمائن بعدما أدرك أن أكثر أهل مراكش من الفرسان والرجالة وعندما خرجوا أمر بضرب الطبول وخرجت الكمائن، فمات في ذلك اليوم من أهل مراكش ما لا يحصى، فقتل بعضهم بالازدحام[3]. وفي هذا يقول ابن خلدون: "...ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا إلى مدافعة الموحدين فانهزموا ".[4]

وفي يوم السبت 18 لشوال 541هـ / 1147م، فتحت مراكش أمام الأمير عبد المؤمن، وكان ذلك بمساعدة جيش النصارى الذين كانوا بداخلها، فاستأمنوه فأمنهم، واتفقوا معه على أن يدخلوه من الباب المعروف بباب أغمات[5]، كما ساعد النصارى عبد المؤمن في إخماد التمرد الذي قام به الماسي[6] في بلاد السوس سنة 542هـ / 1148م، وكان ذلك بعدما حضر مع عبد المؤمن فتح مراكش وبايعه، ثم فارقه وظهر برباط ماسة[7] من ناحية السوس[8] سنة ودعا لنفسه وتسمى بالهادي، وبعد مبايعة القبائل لعبد المؤمن ولم يبق تحت طاعته إلا

---

(1) توفيق مزاري عبد الصمد، التركيبة القبلية للجيش المغربي في العهد الموحدي (526-568هـ/1130-1269م)، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مج16، العدد الأول، 2016، ص137.

(2) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمتي بن موسى بن عون الله كانت بيعته يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان من سنة أربع وعشرين وخمسة مائة. توفي وسنه ثلاثة وستون سنة. (أنظر: ابن أبي الزرع، الروض القرطاس، ص 119).

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص137.

(4) ابن خلدون، العبر، ص315.

(5) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص137.

(6) هو محمد بن هود بن عبد الله السلاوي رجلا من سوقة أهل سلا، وكان أبوه سمساراً بها يبيع الكنانيش، وكان هو قاصراً بها مرة ثم لحق بعبد المؤمن عندما ظهر وبايعه وشهد معه فتح مراكش، دعا لنفسه بالهادي. (أنظر: الناصري، المصدر السابق، ج02، ص100).

(7) هي منطقة بالمغرب الأقصى في السوس الأقصى على وادي مشتات في الجنوب السوسي، وهي على البحر المحيط. (أنظر: مؤلف مجهول الاستبصار، 211).

(8) مدينة جليلة حاضرة بكل خير جامعة لكل فضل وأهلها أخلاط وهي من بلاد السكر ويضع بها منه الخز العتيق كل جليلة وبها فواكه كثيرة.(أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص395).

مراكش، فسرح عسكراً من الموحدين لنظر يحي بن إسحق أنكمار النازع إليه من إيالة تاشفين بن علي[1]، فالتقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد منهزماً إلى عبد المؤمن، فاضطر الأمير إلى حشد قوات ضخمة ومتنوعة تشمل قبائل الموحدين وأشياخهم والمرتزقة النصارى[2] وغيرهم يرأس الجميع الشيخ أبو حفص الهنتاني[3]، حيث بلغ عدد المقاتلين اثني عشر ألفاً نصفهم من الفرسان، بينما قدرت قوات الماسي ستين ألف رجل وسبعمائة فارس[4] فانصرف الشيخ أبو حفص مع جيشه إلى رابطة ماسة وبرز إليهم محمد بن هود ودارت بينهم حرب شديدة، ثم أنتصر عليهم الموحدون وهزموهم، وقتل الماسي في المعركة مع كثير من أتباعه وفضت جموعه وكان ذلك سنة 542هـ / 1148م.[5]

وكان الأمير عبد المؤمن قد استعان بالنصارى سنة 554هـ/1159م في محاربة النورمان[6] وطردهم من تونس، ويرجح أن عدداً من هؤلاء النورمان انضم إلى الجيش الموحـــدي، لأن عـبد المؤمن حاصر المهدية حصاراً شديداً مدة ستة أشهر[7]، حتى أسلم من بها من النورمان في العاشر من محرم سنة 555هـ/1160.[8]

وضم عبد المؤمن عدداً من الأغزاز كجنود مرتزقة إلى جيشه، حيث كان لهم امتياز يتمثل بأخذ مرتباتهم كل شهر، في حين فرق الموحدين لا يأخذون مرتباتهم إلا كل أربعة أشهر، وهذا يدل على المكانة التي يتمتع بها الأغزاز والتي لا تفسرها إلا قدراتهم القتالية والحاجة الماسة إليها.[9]

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص100.

(2) ابن خلدون، العبر، ج06، ص310.

(3) هو أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني المعروف بعمرينتي، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ثم كان من بين من عقدوا الأمر بعد ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيراً من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء، وقضائه على ثورة الماسي، توفي بالطاعون سنة 517. (انظر: ابن القطان المراكشي (أبو محمد حسن بن علي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط02، تونس، د س، ص127- 128).

(4) توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ص138.

(5) ابن خلدون، العبر، ج06، ص310.

(6) هم من شبه جزيرة إسكندناوة زحف قسم منهم إلى جنوب أوروبا في القرن الحادي عشر المسيحي واستقروا بصقلية وجنوب إيطاليا وكونوا مملكة عرفت (بمملكة الصقليين). (أنظر: محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي ط02، تونس، 1982، ص224).

(7) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص154.

(8) توفيق مزاري عبد الصمد، المرجع السابق، ص138.

(9) نفسه.

ب- عهد أبو يعقوب يوسف (558هـ-1169م/580هـ-1184م)

وفي عهد أبي يوسف يعقوب[1] سنة 563هـ/ 1168م، وصل الفارس البرتغالي جرانده [2] Geraldo صاحب ترجالة[3] Triyllo الشهير النسب والشهامة عند النصارى في شهر رمضان المعظم بنفسه وإخوته راغباً أن يكون خادماً للأمير أبي يعقوب يوسف، فاستأذن له الموحدون الذين بإشبيلية[4] حضرة الأمير بمراكش فأذن له في الوصول فمشى إليها بأصحابه وإخوته الواصلين معه وأقام في حضرة العلية خمسة أشهر حيث أشار ابن صاحب الصلاة إلى ذلك بقوله :"...تحت إحسان من الأمر العالي وامتنان وعطاء جزيل وإسكان كفيل واستسلم وضمن عن نفسه عن ثغور بلاد الموحدين، وأن يكون رداءاً لهم خليفاً للمسلمين".[5]

وكان الأمير أبو يعقوب يوسف قد أجاز النصراني جرانده إلى مراكش ثم صرفه وأعطاه السوس، فقام جرانده بإرسال الكتب من السوس إلى لشبونة Lispone – الأشبونة في روايات العربية-[6]، إلى ابن رنك يعلمه بمكانه من السوس في الساحل، وقال له لعلك تعمر القطائع لتأخذني ونجد معكم فأخذ رسله بكتب الدلس، فوجه الأمير أبا يعقوب إليه وجاءه من السوس إلى مراكش[7]، وكان الأمير قد وجه الكتب إلى درعه[8] لموسى بن عبد

---

(1) هو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، يكنى أبا يوسف أمه ولد رومية اسمها ساحر، بويع له في حياة أبيه وكان سنه يوم صار إليه الأمر اثنين وثلاثين سنة، فكانت ولايته منذ وفاة أبيه إلى أن توفي في شهر صفر في سنة 595هـ، ست عشر سنة وثمانية أشهر وأياماً. توفي وله في العمر ثمان وأربعون سنة.(أنظر: عبد الواحد مراكشي، المصدر السابق، ص 185).

(2) هو القائد جيرالدو الجليقي القشتالي Geralob Sempver أحد القواد النصارى الذين خدموا ابن مردنيش ثم أصبح قائدا لجيش ألفونسو هنريكز (ابن رنك) ملك البرتغال. كان شديد النكاية بالمسلمين واستسلم للموحدين في إشبيلية. (أنظر: البيذق (أبو بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971 ، ص89).

(3)مدينة بالأندلس كالحصن المنيع لها أسرار وأسواق عامرة وخيل ورجل يقطعون أعمارهم الغارات على بلاد للروم والأغلب عليهم التلصص والخداع. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص133).

(4)مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسر وجل تجارتهم بالزيت يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب. (انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص542).

(5) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط03، بيروت –لبنان، 1987، ص284-285.

(6) هي مدينة أولية في غربي باجة ولاشبونة البساتين والثمار المفضلة على غيرها، كانت في أخر الوقت مضافة إلى بطليوس وملكها ابن الأفطش. (أنظر: أبا الفداء، المصدر السابق، ص173).

(7) البيذق، المصدر السابق، 89.

(8) هي مدينة عامرة أهلة بها جامع وأسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة ولها يوم الجمعة سوق في مواضع كثيرة، فيها جميع الفواكه والنخل والزيتون وغيرها والحناء بها كثيرة. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص236).

الصمد[1] وذكر له إذا وجهنا لكم جرنده وأصحابه، فقسموهم على القبائل وقتلوه لأن أخذنا عليه كتب دلس، ثم أمر الأمير أبا يوسف يعقوب جرانده بالمشي إلى درعه وقال له:" هي أحسن لك من سوس"، فسار مع أصحابه وكان عددهم ثلاثمائة وخمسين، فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره الأمير وكان ذلك سنة 565هـ/ 1170م.[2] كما قيل أن الخليفة لما تأكد من خيانة القائد جرانده أمر باعتقاله هو وأصحابه في مدينة سجلماسة، ثم همت نفسه فيها بالفرار ليجوز على أحد المراسي على المحيط وظهر منه ذلك فقتل وجر رأسه سنة 769هـ-1174م.[3]

ج- عهد أبو يوسف يعقوب (بالمنصور) (563-595هـ/1184-1199م):

وفي عهد أبو يوسف يعقوب[4] ضم إلى جيشه كتائب من النصارى والأغزاز واتخذهم حرساً له وأسكنهم في أحد القصور التي بناها مع نسائه وأبنائه، وكان هؤلاء يمثلون الحرس السلطاني بالنظر إلى الأمن والاستقرار خلال فترة حكمه.[5]

وكان الأمير أبو يوسف يعقوب قد انضم إليه القائد القشتالي بدرو pedro - بيطرى بن فرانس في الروايات العربية - الذي لأسباب وخلافات سياسية وعائلية بين أسر لارا lara وملك إسبانيا ألفونسوا الثامن غادر بلاده غاضباً، ودخل في خدمة الخليفة يعقوب المنصور الذي رحب به وجعله مستشاراً له في العمليات العسكرية[6]، كما استخدم يعقوب المنصور الغز الذين قدموا من مصر، بحيث أحسن نزلهم وبالغ في تكريمهم، وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين وذلك أن الموحدين يأخذون الجامكية — مرتب خدام الدولة في الجيش - ثلاث مرات في كل سنة في كل أربعة أشهر مرة أما الغز فلهم جامكية مستمرة إلى كل شهر لا تختل، حيث أن الفرق بين الغز والموحدين أن هؤلاء غرباء لاشيء لهم في البلاد يرجعون إليه سوى هذه الجامكية والموحدون لهم

---

(1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الحمد موسى البكري القرطبي، ولد سنة 466هـ، تقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك، له رحلة حج فيها وكتب كتباً رواها، توفي سنة518هـ.(انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص143).

(2) البيذق، المصدر السابق، ص89.

(3) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص173.

(4) هو أمير المؤمنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لقبه المنصور بفضل الله، أمه أم ولد كانت أهدها ابن قرير لأبيه أبي يعقوب، مولده بقصر جده عبد المؤمن بمدينة مراكش سنة خمس وخمسين، بويع له يوم الأحد التاسع عشر لربيع الأخر سنة ثمانين وخمس مائة، توفي يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمس مائة. (انظر: ابن أبي الزرع الأنيس المطرب، ص143).

(5) عبد القادر شريف، المرجع السابق، ص 60.

(6) أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص174.

إقطاع وأموال المتأصلة، كما أن المنصور أقطع للأغزاز أقطاعاً كالتي عند الموحدين أو أوسع منها[1]، حيث أشار المراكشي إلى ذلك بقوله:"...كما منح لأحمد الحاجب مواقع ليس لأحد من قرابته مثلها كما قطع لشعبان بالأندلس قرى كثيرة تغل في كل سنة نحو من تسعة ألاف دينار، هذا خارج عن جاميكيتهم الكثيرة التي ليس لأحد من الأجناد غيرهم مثلها ".[2]

وكان الأغزاز قد شاركوا في القوة التي أرسلها الأمير يعقوب المنصور إلى قفصة[3] بعدما بلغه أن ابن غانيه[4] قد استولى عليها، فنهض الأمير بنفسه من حضرة مراكش ووصل إلى فاس ثم سار إلى رباط تازا[5] بعدها إلى تونس، وكان ابن غانيه قد جمع إليه من الملثمين والعرب وجاء معه قراقوش الغزى صاحب طرابلس[6]، فأمر إليهم المنصور مقدمة من جيشه لنظر السيد أبي يوسف يعقوب ابن السيد أبي حفص عمراني عبد المؤمن وخرج من تونس ومعه جيش من كل قبيل، فقصدوا أرض العدو، فالتقى الجمعان وتقاسما مساحة الميدان، وبينما الفريقان يتقاتلان تشتت الآراء وعموم القبائل قد وقفوا بالأطراف، بحيث توقفت سهام الأغزاز عن القتال، فدفع القائد، أبو الحسن ابن الربرتير بالقبض عليه بعدما غدره أصحابه، فانهزم الموحدين أمام بني غانيه بعد أن تخلى عنهم الأغزاز[7]. ولما وصل الخبر للأمير المنصور وهو بتونس نهض إليهم في الحال ونزل القيروان ثم توجه إلى الحامة، فالتقى الجمعان ونشبت الحرب، فكانت الهزيمة على ابن غانيه وأحزابه وأفلت من المعركة بدماء نفسه ومعه خليله قراقوش، لكن بعدما فتح المنصور بلاد جريد[8]، واستأصل من كان فيها مشيع الأشقياء وقبض على الذين فيها من الأغزاز وعفا عنهم وتصيرهم في جملة من أجناد جيشه[9].

---

(1) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص205.

(2) نفسه.

(3)مدينة قديمة من بلاد الجريد، كان عليها سور وبينها وبين قوص أربعة أميال وبها برية ويقر بها شعراء كثيفة وهي متباعدة من النيل، وفيها مزارع كثيرة البقول كما أنها مدينة جامعة متحضرة بها أخلاط من الناس وبقايا بعض الروم.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص477).

(4)ينسب إلى أمه وكانت من غانه فهي غانية، وكانت النسبة إلى الأمهات شائعة بين المرابطين وذلك لآن الرجال كانوا يتزوجون كثيراً فينسب الأولاد لأمهاتهم.(انظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص224).

(5)جبال عظيمة حصينة كثيرة التين والأعناب وجميع الفواكه وأكثر شجرها الجوز ويسكنها قبائل البربر يعرفون ببغاية.(انظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 186).

(6) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص145.

(7) ابن عذارى، المصدر السابق، ج03، ص290.

(8) سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها، وهي مدن كثيرة الأقطار واسعة وعمائر متصلة كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات، وفيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة.(انظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص153).

(9) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص145.

د – في عهد خلفاء أبي يعقوب المنصور595هـ – 646هـ/ –1199 – 1148م)

كان الموحدون بمراكش قد قاموا بعزل العادل[1] وبايعوا أخاه المأمون[2]، وبعدها ندموا وبايعوا ابن أخيه يحي بن ناصر[3]، فوصلت البيعة إلى المأمون هو يومئذ باشبيلية، فسر بها وأمر بإقرائها على منابر الأندلس، ثم أخذ في التجهيز إلى مراكش دار ملكهم[4]، فسار حتى وصل الجزيرة الخضراء[5]، ولما بلغه خبر أن الموحدين قد نكثوا بيعته، وبايعوا ابن أخيه يحي، غضب لذلك وكتب إلى ملك قشتالة يستنصره ويطلب منه أن يبعث له جيشاً من النصارى يجوز بهم إلى العدوة لقتال يحي ومن معه من الموحدين[6]، فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو[7]، وأن يبني بمراكش إذ دخلها لجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لصلواتهم، وأن من أسلم منهم لا يقبل منه إسلامه، ويرد إلى إخوانه فيحكمون فيه بأحكامهم إلى غير ذلك، فأسعفه المأمون في جميع ما طلب منه.[8]

وكان يحي بن ناصر قد خرج من مراكش فاراً بنفسه، وذلك بعدما اضطربت أحواله بها ومبايعة أكثر أهل المغرب لعمه المأمون، وكان ذلك في جمادى الأولى 6226هـ / 1226م، ولما فر يحي جدد أشياخ الموحدين البيعة للمأمون وكتبوا له يخبرونه بفرار يحي ويرغبون في القدوم عليهم، واستمر يحي معتصم بجبل أربعة أشهر، ثم بداله فعاد إلى مراكش وقتل عامل المأمون الذي قدمه الموحدون بها واستمر بها نحو سبعة أيام ثم خرج إلى جبل إنجلي

([1]) هو أمير المؤمنين عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي لقبه العادل في أحكام الله تعالى كنيته أبو محمد أمه أم ولد رومية من سبي شنترين اسمها سر الحسن، بويع له البيع الأول بمرسية سنة إحدى وعشرين وست مائة وكانت أيامه من يوم بويع بمرسية إلى أن توفي ثلاث ستين وسبعة أشهر وتسعة أيام. (انظر: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص164).

([2]) هو أمير المؤمنين إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كنيته أبو العلاء لقبه المأمون أمه حرة اسمها صفية بنت الأمير أبي عبد الله بن مردنيش، مولده بمالقة سنة إحدى وثمانين وخمسة مائة بويع البيعة الأولى بأشبيلية ثاني شوال من سنة أربع وعشرين وست مائة.(انظر: ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب، ص167).

([3]) هو أمير المؤمنين يحي ابن أبي عبد الله الناصر بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كنيته أبو زكريا وقيل أبو سليمان لقبه المعتصم بالله، بويع يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة.(أنظر: ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب، ص165).

([4]) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص167.

([5]) هي أول مدينة افتتحت في الأندلس وذلك في سنة تسعين من هجرة، فتحها موسى بن نصير وبها على باب البحر مسجد الرايات ويقال هناك اجتمعت رايات القوم للرأي. (أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص541).

([6]) ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب، ص167.

([7]) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص 212.

([8]) ابن خلدون، العبر، ج06، ص 340.

وعسكر به[1]، وأقام منتظرا لقدوم المأمون ودفاعه عن مراكش.[2]

وكان صاحب قشتالة قد بعث للمأمون جيشاً من اثني عشر ألف برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة، وكان وصولهم إليه في رمضان 626هـ/1226م، ثم عبر بهم الجزيرة الخضراء إلى سبتة[3] في ذي القعدة[4]، وكان المأمون أول من أدخل عسكر النصارى أرض المغرب واستخدمهم بها، فأراح بسبتة أياما ثم نهض إلى مراكش حتى إذ دنا منها لقيه يحي بجيوش الموحدين، وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الأول من السنة الداخلة، فانهزم يحي وفر إلى الجبل وقتل الكثير من جيشه ودخل المأمون مراكش وبايعه الموحدون.[5]

ولما هلك المأمون بويع لابنه عبد الواحد الرشيد[6]، وكان سنه لا يتعدى الرابعة عشر[7] ومن الذين أخذوا له البيعة: بن جرمون السفياني وشعيب بن أوقاريط الهسكوري وبدرو قائد جيش النصارى، فعندما مات المأمون كتمت جاريته حباية موته، واستدعت هؤلاء النفر الثلاثة الذين كانوا عمدة جيش المأمون، فلما وصلوا إليها أعلمتهم بموت أمير المؤمنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته وبذلت لهم أموالاً جليلة وجعلت لهم مع ذلك مدينة مراكش فيئاً إذ غلبوا عليها، فبايعوه وأقاموا بالأمر وتولوا أخذ البيعة له، ولما سمع يحي وأهل مراكش بما أشرطته حباية للقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيئاً خرجوا لقتال الرشيد أجمعهم.[8]

وكان يحي قد استخلف أبا سعيد بن وانودين على مراكش[9]، وتوجه هو لقتال الرشيد، فالتقى الجمعان وانهزم يحي وقتل أكثر من معه، وأتى الرشيد حتى وقف بباب المدينة فتحصن منه أهلها، وغلقوا الأبواب فأمنهم[1]،

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ج2، ص212.

(2) نفسه.

(3) هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس وهي حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج03، ص182).

(4) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص167.

(5) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص 212.

(6) هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلى إدريس المأمون بن أبي يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن، أمه أم ولد رومية تسمى حباية، دامت دولته عشر أعوام ونحو أربعة أشهر، توفي يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة من عام أربعين وستمائة.(أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج03، ص421).

(7) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص176.

(8) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص170.

(9) ابن خلدون، العبر، ج06، ص345.

فأمنهم[1]، وبعث إلى قائد النصارى وأصحابه قيمة من مراكش فقبضوه ودفع لهم في ذلك خمس مائة ألاف دينار، ودخل الرشيد مراكش فلم يزل بها إلى سنة ثلاث وثلاثين، فاستدعاه أشياخ الخلط فدخلوا عليه وقتل منهم خمسة وعشرين أميراً في قصره، وقامت عليه الخلط ودخلوا مراكش ونهبوها وفر الرشيد عنها بجيش النصارى إلى سجلماسة، وبايع الخلط يحي وأدخلوه مراكش.[2]

و في سنة 633هـ / 1236، خرج الرشيد من سجلماسة يقصد مراكش وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فأجابوه، وعبروا واد أم الربيع[3] وبرز إليه يحي في جموعه[4]، والتقى الفريقان ودارت بينهم حرب شبت نارها بكل جهة ومكان، فبينما هم كذلك والحرب بينهم تضرم والمنايا لنفوس تخترم،إذ قصد النصارى أقوى جهة من جهات العدو فدفعوا عليه دفعة شنيعة قتلوا فيها خلقاً كثيراً فولو الخلط وأميرهم أدبارهم.[5]

و كان الأمير المرتضي[6] قد ضم إلى جيشه عدداً من النصارى والأغزاز عند خروجه من مراكش لاسترجاع فاس سنة 653هـ / 1255، من بين يد بني مرين المسيطرين عليها[7]، غير أن قوة وهيبة بني مرين قد تمكنت بالإطاحة بجيش المرتضي، فدخل الأمير مراكش في جمع قليل من الأشياخ والنصارى وأقام بها وأعرض عن بني مرين وتسلى عنهم سائر أيامه وازداد أمر الموحدين ضعفاً.[8]

وكان الأمير المرتضي في عهده لا يثق في جنده النصارى ولذلك كان يتعرض هؤلاء للعديد من المؤامرات والاغتيالات، فكان ذلك ما حدث للقائد النصراني "ذي اللب" الذي تخاذل في قتال أحد الثوار يدعى علي بن بدر، فطلب من الجدميوري قتله، كما تم القبض على القائد النصراني غرسيه Garcia – غريسيا طاليس–، إلا

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص217.

(2) ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب، ص171.

(3) هو وادي وانسيفن عند قلعة مهدي ببلد فازاز من أرض المغرب وينحدر هذا الوادي في سعة البلاد قدره عشرون شبراً أو نحوها وعليه قنطرة محدثة وعليها لوح كثيرة وبهذا الواد مات صاحب المغرب أبو العلاء إدريس ابن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص605).

(4) الناصري، المصدر السابق، ج02، ص219.

(5) نفسه.

(6) هو أمير المؤمنين عمر بن السيد أبي إبراهيم إسحاق ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي كنيته أبو حفص لقبه المرتضى أمه حر بنت عم أخيه، بويع الأربعاء ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمائة.(انظر: ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب، ص173).

(7) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص173.

(8) الناصري، المصدرالسابق،ج02، ص229-230.

أن المرتضي أطلق سراحه عندما حاصر الأمير أبو دبوس[1] الموحدين بمدينة مراكش مطالباً بالعرش الموحدي ومنحه فرساً ودرقة من أجل المشاركة في رد الحصار والدفاع عن المدينة، إلا أن القائد النصراني غافل الخليفة المرتضى واجتمع مع وجوه الدولة وقرروا مناصرة أبي دبوس ومنحوا الطاعة له.[2]

وفي الأخير نستنتج أن المرتزقة قد برز دورهم بشكل كبير في دولتي المرابطين والموحدين وذلك بعدما استعان بهم الأمراء والخلفاء لمساندتهم في حروبهم ومعاركهم ضد الأعداء، حيث شكل هؤلاء المرتزقة حرساً خاصاً بالسلطان في فترات الأمن والاستقرار، وكانوا نواة الجيش في فترات الاضطرابات والصراعات، لكن بالرغم من ذلك إلا أنهم كانوا سلاح ذو حدين خاصة في فترة ضعف الدولتين، فنجدهم عند المرابطين بأنهم تآمروا مع أعداء الدولة وذلك من أجل خلق الفتن والثورات، أما دورهم عند الموحدين فكان لا يقل خطورة وذلك بتدخلهم في الشأن السياسي بإقامة وعزل الخلفاء لما يخدم مصالحهم.

---

(1) هو أبو العلاء إدريس بن السيد أبي حفص بن أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي شمس بأمير المؤمنين وتلقب بالواثق بالله، أمه ولد رومية اسمها شمس الضحى، بويع له بجامع المنصور يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرم سنة خمس وستين وستمائة.(أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص174).

(2) عبد القادر شريف، المرجع السابق، ص63.

المبحث الثالث

المرتزقة في دولة

الحفصيين والزيانيين والمرنيين

1- المرتزقة في الدولة الحفصية

2- المرتزقة في الدولة الزيانية

3- المرتزقة في الدولة المرينية

إن استخدام المرتزقة في الجيش لم يكن أمراً جديداً في بلاد المغرب الإسلامي، فقد سبق وأن التجأ السلطان المرابطي علي بن يوسف إلى خدماتهم، ورغم التعصب المذهب للموحدين فقد استعانوا بهم أيضاً، وسارت الدول التي خلفت دولة الموحدين (الحفصية، الزيانية، المرينية) على منوالهم، بل زاد دورهم في هاته الفترة، وأصبح لهم تأثير كبير على الحياة السياسية والعسكرية .

01- المرتزقة في الدولة الحفصية:

قامت الدولة الحفصية في المغرب الأدنى سنة 625-647هـ/ 1228-1249،[1] ويعود نسبهم إلى الشيخ الحفصي يحي بن عمر الهنتاني، فبعد الضعف الذي عرفته الدولة الموحدية ومقتل معظم رعاياها من طرف الأمير المأمون، فاستاء أبو زكريا يحي الحفصي[2] من ذلك، فاستغل بإمارة إفريقية وأعلن عن قيام دولته واتخذ من تونس عاصمة لها.[3]

إن استخدام الحفصيين للمرتزقة كان أقل وضوحاً، وذلك ما أشار إليه روبار برانشفيك" أن فترة وظروف المرتوقة النصارى في البلاط الحفصي غير محدودة أو معلومة وأنه لا يمكن تشبيههم كما فعل بعضهم بالموالي العلوج في عهد أبي زكريا الأول (625-647هـ/1228-1249م)، الذين خصص لهم أحسن مناصب الدولة"[4]،و كان هؤلاء النصارى كلهم تقريباً قادمين من شبه الجزيرة الأيبيرية أو من إيطاليا، وقد كانوا يسكنون في ربض من أرباض العاصمة وفيها خرج عدد كبير من القواد.[5]

و كان السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر[6] (647-675هـ/1249-1277م)، يخضع في سياسته وإدارته لسيطرة شخصيات وافدة من خارج إفريقية لاسيما من العلوج النصارى، فالمستنصر أمه كانت رومية

---

(1) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب بالجامعة، الإسكندرية، د،س، ص127.

(2) هو المولى أبو زكرياء يحي بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن مولى أبي حفص عمر الهنتاني، ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمائة، بويع بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وجددت له البيعة يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب.(أنظر: ابن أبي الدينار(محمد بن أبي القاسم)، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط01، دب، 1286، ص126).

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعية للطباعة والنشر، دط، الإسكندرية، 1999، ص790.

(4) روبار برانشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت-لبنان، 1988، ج01، ص471.

(5) نفس المرجع السابق، ج02، ص80.

(6) هو ابن المولى أبي زكرياء بن مولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن مولى أبي حفص عمر، بويع صبيحة الليلة التي توفي فيها والده يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الأخيرة سنة سبع وأربعين وستمائة وعمره اثنان وعشرون سنة، أمه أم ولد اسمها عطف، توفي في الحادي عشر من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره خمسون سنة.(أنظر: ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص128- 130).

الأصل، ولو أن إكثار من أولئك العلوج واصطناع الكثير من وافدة الأندلس[1]، فقد كان أبوه إصطنع منهم رجالاً ورتب جنداً كثر، وقد زاحم هؤلاء الوافدون الموحدين في مراكزهم في الدولة[2]، فعمل ابن أبي المهدي الهنتاني على إقصائهم بل حتى على زحزحة المستنصر عن إمارة إفريقية، حيث أجرى ابن أبي المهدي اتصالات سرية مع أعمام المستنصر خاصة أبا إبراهيم إسحاق، وكذا أبا عبد الله محمد اللحياني، وكانت خطته أن يتآمر مع أحدهما ضد المستنصر، وتحول الإمارة إليه حتى يتداركا ما فاته وينزع حصر ولاية العهد في أبناء أبي زكرياء الحفصي دون أن يشترك أخوته فيها، ولكن الأخوين لم يستجيبا لتحقيق خطة ابن أبي المهدي الهنتاني[3]، فتحول هذا الأخير عنهما إلى أحد أبناء محمد اللحياني فاستجاب له واتفقا على تنفيذ الخطة وبايعه ابن أبي المهدي سراً، ووعده بتأييده ومصاهرته ونمي الخبر إلى السلطان من عمه محمد اللحياني وحذره من غائلة ابنه، وأبلغه ذلك أيضاً القاضي أبو زيد التزوري منتصحاً.[4]

وفي سنة ثمان وأربعين وستمائة باكر ابن المهدي مقعده للوزارة بباب السلطان وتقبض على الوزير أبي زيد بن جامع، وخرج ومشيخة الموحدين معه[5]، لمبايعة ابن محمد اللحياني، ولكن المستنصر وأنصاره خاصة قواد جيشه من النصارى إستعدوا للأمر[6] وكلف العلج القائد ظافر بمهاجمة الموقف فالتقى معه بالمصلى الذي خارج باب المنارة[7]، فقتله القائد ظافر وقتل معه ابن أبي مهدي ومن معه وسار القائد ظافر إلى دار اللحياني عم السلطان فقتله، وقتل في طريقه أخاه أبا إبراهيم ابن الشيخ أبي محمد ابن الشيخ أبي الحفص[8]، ثم نظمت حملة نهب ضد منازل الموحدين فوقع تخريبها والاستيلاء على ما فيها، وابتهج المستنصر بتلك الأعمال ضد أعمامه وضد مشيخة الموحدين فأكرم القواد والجنود الذين قاموا بتلك الأعمال وقدم لهم الهبات والعطايا.[9]

---

(1) محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، دط، بيروت-لبنان، 1986، ص177.

(2) ابن خلدون، العبر، ج06، ص402.

(3) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص177.

(4) ابن خلدون، العبر، ج06، ص403.

(5) نفسه.

(6) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص178.

(7) بني عام 1276 على الأسوار الغربية للمدينة في عهد الحفصيين، سمي بباب المنارة، كذلك نسبة إلى المشكاة التي كانت بجداره لهداية المارة، ويقع باب المنارة بين باب الجديد الذي بدوره مجاور لباب القلة وبين ساحة القصبة.(انظر: وفاء الحكيري، حكايات أبواب مدينة تونس العتيقة، 2016).

(8) الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماصور، المكتبة العتيقة، الإسكندرية،2002، ص34.

(9) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص178.

وهكذا حاول الجنود النصارى تصفية قضية الموحدين وعائلة عبد الواحد بن أبي حفص حتى يخلو لهم الجو، ويستبدوا بالأمر دون منازع[1]، ولكن بعد خمود هذه الثائرة سعوا للمستنصر بمولاه القائد ظافر وقبعوا عنده ما فعل من الفتن في قتل عمه اللحياني من غير جرم، ونذر ظافر بذلك فخشي البادرة ولحق[2] بالذواودة[3]، حيث أشار برانشفيك إلى ذلك قائلاً : "...مازال شيء من الانزعاج يخيم على القصر، كما أن إنذار جدي بالخطر قد دفع العامل إلى ملازمة الحذر ذلك أن مولاه نفسه القائد ظافر الذي كان قد أنقذه من قبل سرعان ما أصبح ضحية بعض الوشايات التي أجبرته على الالتجاء لدى أعراب الذواودة"[4]، وكان من تولى هذه السعاية هلال[5] مولى السلطان فعقد له السلطان مكانة.[6]

وفي سنة 651هـ/1253م، انفجر الوضع بغتة عند اندلاع حادث طارئ ذلك أن أحد إخوة الخليفة أبا إسحاق إبراهيم[7] الذي كان محل مراقبة مشددة وكان يتألم من ذلك الوضع المكدر، قد التجأ هو أيضاً لدى الذواودة الذين بايعوه في زراية وبفضل مساعدتهم ومساعدة القائد ظافر بالإضافة إلى أحد أعيان بسكرة[8] فضل بن علي من عائلة بني مزني استولى على تلك القاعدة، ثم تأهب للاستيلاء على قابس[9]، فتمكن من ذلك[10]. واجتمعت إليه الأعراب من كل مكان[11]، وبذلك بدأ المستنصر يشعر بالخطر القادم من ثورة أخيه

---

(1) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص178.

(2) الزركشي، المصدر السابق، ص34.

(3) هي قبيلة عظيمة فروعها كثيرة بالمغرب الأوسط، وهي من أشهر بطون مرداس. (انظر: عبد الوهاب بن المنصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج01، ص 422).

(4) برانشفيك، المرجع السابق، ج01، ص71.

(5) من كبار علوج المستنصر كان عظيم القدر في الشجاعة والكرم ومحبة أهل العلم والشفقة على المساكين والحياء والإيثار والإحسان.(انظر: ابن قنفذ، المصدر السابق، ص127).

(6) ابن خلدون، العبر، ج06، ص403.

(7) هو المولى أمير المؤمنين أبو إسحاق إبراهيم بويع له بحضرة تونس أول ربيع الآخر سنة ثمانية وسبعين وستمائة، ومولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ملك جميع بلاد إفريقية ودانت له، اعتقل ببيت القصبة أيام أخيه المستنصر، توفي في صفر من عام تسعة وسبعين. (انظر: ابن الشماع(أبو عبد الله محمد)، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، 1984، ص75-76).

(8) من بلاد الزاب بأرض المغرب وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وعليها سور وفنادق وعليها بساتين كثيرة مقدار ستة أميال .(انظر: الحميري، المصدر السابق، ص113).

(9) هي مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الأول ولها حصن حصين وأرباض واسعة وفيها حمامات وفنادق.(أنظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص112).

(10) برانشفيك، المرجع السابق، ج01، ص71.

(11) ابن خلدون، العبر، ج06، ص405.

إبراهيم[1]، فقبض على أبنائه في تونس وحبسهم في سجن القصبة وشدد عليه الحراسة.[2]

كان البلاط الحفصي يجزم بأن التغلب على الثائر إبراهيم صعب المنال مادام متحالفاً مع القائد الظافر، مما جعل أي مجابهة بين الأخوين لا تضمن رجحان كفة المستنصر ولهذا كان لابد من إيجاد خطة تستهدف إبطال التحالف بين أبي إسحاق إبراهيم والقائد ظافر بإفساد العلاقة الحسنة بينهما[3]، ولذلك عمل الوزير ابن أبي الحسن[4] على تحقيق ذلك، حيث أرسل إلى أخت أبي إسحاق يحذرها من المغبة التي سوف ينالها أخوها من القائد ظافر المتحالف معه، وأنه يتربص الدوائر ويتحين الفرص للقضاء عليه في النهاية[5]،وأكدت ذلك السابقة التي أقدم عليها القائد ظافر حيث قتل عدة شخصيات من عائلة بني حفص دون جريمة ارتكبوها. ولهذا فإن التحذير الذي بعثه إليها ابن أبي الحسين وجد لديها قبول وإقناع، فبادرت هي الأخرى بالتحذير وأرسلت به إلى أخيها أبي إسحاق إبراهيم فنذر بالغدر الذي يبيته القائد ظافر. وهكذا انطلت الحيلة على إبراهيم فأساء الظن بالقائد ظافر وأخذ يحتاط منه[6]، إلى أن انتهى الأمر بتخلي القائد ظافر عنه والتوجه إلى المغرب الأقصى[7]، وكان هذا الافتراق بين المتحالفين ذا أثر كبير في نفسية أبي إسحاق إبراهيم إذ صح لديه أنه لا يستطيع مجابهة أخيه بمفرده، فقرر الانسحاب من الميدان وغادر إفريقية متوجها إلى المغرب الأقصى.[8]

وكان أهم ما شغل بال السلطان أبو زكريا يحي الثاني الواثق[9](675-678هـ/1277-1279م)، هو التخلص من ابن أبي الحسين حتى يصبح أمر الدولة كله بيده وكان له ما أراد بمساعدة يحي بن عبد الملك

---

(1) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص181.

(2) ابن خلدون، العبر، ج06، ص406.

(3) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص181.

(4)من أصل أندلسي تولى عليا المناصب في عهد أبي زكرياء الحفصي حتى غلبه على هواه، كان كثير الصحبة للملوك، ولما تولى المستنصر أجراه على سنته برهة ثم تنكر له إثر كائنة اللحاني.(أنظر: محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص179.

(5) ابن خلدون، العبر، ج06، ص406.

(6) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص182.

(7) ابن خلدون، العبر، ج06، ص406.

(8) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص182-183.

(9)ابن المستنصر، بويع له في الليلة التي توفي فيها والده وهو ابن ثمانية وعشرون عاماً، فأصبح الخليفة وبايعه من بقي من صبيحة تلك الليلة، وكانت ولايته على يد أبي عثمان سعيد بن أبي الحسين وكانت جملة ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً من يوم بيعته إلى حين خلعه.(أنظر: ابن قنفد، المصدر السابق، ص 134-137).

الغافقي[1] الذي خلا له الجو وأصبح هو المسير الفعلي للدولة، حيث عين في وزارة المالية أحد العلوج المسمى "مدافع"، وبعث به أخاه إدريس أبا علي مكلفاً بأشغال بجاية وأموالها فأساء هو أيضاً السيرة وأخذ الأموال وأذل الرجال، ودخل في خلاف مع والي بجاية محمد بن أبي هلال الهنتاني حتى دبر له مؤامرة انتهت بقتله.[2]

و في أوائل ربيع الثاني 678هـ/1279م، خلع أبو زكريا نفسه وسلم الأمر لعمه المولى أبا إسحاق إبراهيم وبايعه سنة 1279/678، وخرج من القصبة إلى دار الأقوري، فأقام بها أيام وكان له ثلاث من ولد أصاغر: الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه[3]، ثم نمي عنه للسلطان أبي إسحاق أنه يروم الثورة وأنه داخل ذلك بعض رؤساء النصارى من الجند، فاعتقله بمكان اعتقال بنيه ثم بعث إليهم ليلتهم فذبحوا جميعاً في شهر صفر سنة 679هـ / 1270م.[4]

و كان السلطان أبو البقاء خالد[5] (709-710هـ/ 1309-1311م)، قد عين أخاه أبا بكر[6] على عمالة قسنطينة[7] وجاء ذلك بطلب من ابن عمر، وولى علياً ابن عمه الحجابة بتونس نائباً عنه وفصل من الحضرة ولحق بقسنطينة، وقام ابن عمر بخدمة السلطان أبا بكر فتصرف في حجابته وأخذ يحرض والي قسنطينة على الانتفاض، وشق عصا الطاعة في وجه أخيه أبي البقاء حتى استجاب لذلك[8]، فأعلن العصيان ضد أخيه وأعلن عن نفسه "خليفة" مضيفاً لنفسه لقب المتوكل على الله، أما أبو البقاء فقد اهتز لهذه الحادثة لأنها تهدد الدولة

---

(1) هو يحي ابن عبد الله الملك الغافقي وكنيته أبو الحسن أصله من الأندلس من مرسية)، وقدم مع جالية من شرق الأندلس أيام سقوطها، وكان يحسن الكتابة ولم يكن له من الخلال سواها، فصرف في الأعمال، ثم ارتقى إلى خدمة أبي الحسين فاستكتبه ولما استوثق الأمر الواثق رفع منزلته واختصه بالشورى وقلده كتاب علامته.(أنظر: ابن خلدون، العبر،ج06، ص 433).

(2) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص234.

(3) ابن الشماع، المصدر السابق، ص75.

(4) ابن خلدون، العبر، ج06، ص437.

(5) هو خالد ابن المولى أبو زكرياء بن إسحاق بن أبي زكرياء، وهو صاحب بجاية وقسنطينة. بويع له بعد موت والده أبا زكرياء في السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني من عام تسعة وسبعمائة ولقب بالناصر لدين الله، توفي بتونس سنة إحدى عشر وسبعمائة.(أنظر: ابن الشماع، المصدر السابق، ص84-85.

(6) هو أبو بكر بن أبي زكرياء يحي بن أبي إسحاق إبراهيم بن زكرياء يحي ابن أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص، ولد في شهر شعبان من 692هـ/1293م، كانت أمه أم ولد رومية اسمها أملح الناس.(أنظر: الزركشي، المصدر السابق، ص66).

(7) الزركشي، المصدر السابق،ص60.

(8) ابن خلدون، العبر،ج06،ص472.

بالانقسام بعد أن وحدها، ولهذا بادر بتجهيز جيش لمجابهة أخيه في قسنطينة وأوكل قيادته إلى العلج "ظافر الكبير"، وعسكر هذا القائد بجيشه في باجة[1] منتظراً الفرصة لمجابهة المتوكل.[2]

وكان السلطان أبو بكر يحاول الاستيلاء على بجاية غير أن محاولته لم تنجح، وذلك لشدة المقاومة بزعامة ابن مخلوف[3] وأتباعه، مما دفع بالمتوكل إلى تخطيط مؤامرة ضد ابن مخلوف اعتمد فيها على بعض النصارى لتنفيذها، فتمكن من قتله وجر جثته حتى ألقيت بين الخيام، وهكذا تخلص صاحب قسنطينة من أكبر خصومه وسهل عليه ضم بجاية إلى نفوذه.[4]

وكان السلطان أبو البقاء خالد قد بعث إلى قائده العلج ظافر الكبير من أجل التصدي لغزوة ابن عمه اللحياني على تونس، إلا أنه جيش ابن اللحياني[5] أوقع بجيش أبي البقاء خالد وتمكن من اعتقال قائده ظافر الكبير، ثم واصل الجيش زحفه نحو العاصمة فدخلها في جمادي الآخرة 711هـ/1311م، حيث جرت فيها عدة معارك، وأظهر أبو البقاء راية الاستسلام، وأشهد على نفسه بالتنازل عن بيعته التي عقدة له.[6]

وفي سنة 720هـ/فيفري 1320م، عين السلطان أبو بكر(718-747هـ/1318-1346م)، ولاية بجاية وقسنطينة لاثنين من أبنائه وهما : أبو زكرياء يحي وأبو عبد الله محمد[7]، وكان ذلك بعد تخلصه من هيمنة وزيره ابن عمر على الجزء الغربي من الدول[8]، ونظراً لصغر سن الأميرين، فقد عين لمساعدتهما أحد كبار الموظفين وهو

---

(1) هي مدينة كبيرة قديمة فيها أثار للأول، لها حصن حصين قديم، مبني بالصخر الجليل، ومدينة باجة على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه.(أنظر : مؤلف مجهول، الاستبصار، ص160).

(2) ابن خلدون، العبر،ج06،ص472.

(3) هو يعقوب بن مخلوف ويكنى أبا عبد الرحمن كبير صنهاجة من جند السلطان الموطنين بنواحي بجاية، وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبهم ودفاع عدوهم، وكان الأمير أبو زكرياء وابنه يستخلفونه ببجاية أزمان سفرهم عنها وكان يلقب بالزوار.(أنظر: ابن خلدون، العبر،ج06،ص472).

(4) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق،ص318.

(5) هو زكرياء ابن الأمير أبو العباس أحمد بن الشيخ أبا عبد الله محمد اللحياني ابن المولى عبد الواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص عمر أخذ له البيعة شيخ دولته المزدوري وأقيل هو بعد ذلك في سنة إحدى عشرة، نزل المحمدية وجددت له البيعة.(انظر: ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص135).

(6) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 319.

(7) هو الأمير أبو عبد الله صاحب قسنطينة، كان مخصوصاً من أبيه من بين ولده بالأثرة العناية وقد صرف إليه إقباله وأوقع عليه محبته لما كان يتوسم في شواهد من الترشيح وما تحلى به من خلال الملك.(أنظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص504).

(8) ابن خلدون، العبر، ج06، ص506.

حاجبه ابن القالون[1] في حين عين لمساعدة الأمير أبي عبد الله في قسنطينة ظافر الكبير الذي كان أبعد من إفريقية ثم عاد إليها بعدما بلغ وفاة خصمه ابن عمر، أما في عنابة فبعد وفاة والي المنطقة العلج منصور، عوضه السلطان بابن أخر من أبنائه، وهو الأمير أبو العباس الفضل[2] وعين العلج ظافر سنان لمساعدته.[3]

02- المرتزقة في الدولة الزيانية:

ظهرت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط[4]، وكانت بداية ظهورها سنة 633هـ/1235م، فبعد ضعف دولة الموحدين وانهيار أركانها ، انفصل بنو زيان (بنو عبد الواد) بالمغرب الأوسط وسيطروا على بعض المناطق والحصون القريبة من تلمسان وازدادوا تمادياً بإعلان استقلالهم بها[5]. ويعود الفضل في ذلك إلى زعيمهم يغمراسن بن زيان[6]، الذي انفصل عن الدولة الموحدية وأبقى على الطاعة الشكلية لها إلى أن سقطت فعلياً[7]، فأعلن عن قيام دولته سنة 633-962هـ/1235-1554م، وأتخذ تلمسان عاصمة لها.[8]

ومنذ قيام الدولة الزيانية اعتمد أمراؤها على المرتزقة النصارى كحامية لهم[9]، حيث أن الجيش الزياني كان يتكون من أربعة أقسام هي: الأعلاج والنصارى والأغزاز والوصفان، وكان قدر هؤلاء قدر حماة والأنصار ومن أهل الشدة وكفاية ونجدة في الغاية وزينة وعدة وجرأة وشدة وحدة.[10]

---

(1) هو محمد بن القالون المعروف بالمزوار، أصله من الأكراد الذين وفد رؤساؤهم على ملوك المغرب، نشأ في دولة الأمير أبي زكرياء الأوسط واختلط بأبنائه وقدم جملة ابنه السلطان أبي بكر إلى تونس، وكان شهماً وقوراً متديناً وله في الدولة خط من الظهور.(أنظر: ابن خلدون، العبر، ج06، ص493).

(2) هو الأمير أبو العباس الفضل بن أبو يحي أبو بكر بن زكرياء يحي بن أبي إسحاق إبراهيم، أمه أم ولد رومية اسمها عطف، بويع له في أول شهر ذي الحجة من عام خمسين 750هـ/فيفري 1350م.(أنظر: الزركشي، المصدر السابق، ص91).

(3) برانشفيك، المرجع السابق،ج01، ص183.

(4) علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، ط03، بيروت- لبنان، 2009، ص503.

(5) سوادي عبد محمد صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص176.

(6) مولده سنة ثلاث أو خمس وستمائة، كان كريماً شجاعاً فاضلاً حليماً متواضعاً ذا سداد وعفاف ومجد بويع يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة.(أنظر: يحي بن خلدون(أبو زكرياء يحي)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة الشرقية، الجزائر، 1903، ج01، ص111).

(7) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص503.

(8) سوادي عبد محمد وصالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص176.

(9) عبد الصمد حمزة، أهل الذمة في الدولة الزيانية(633-962هـ/ 1235-1554م) دراسة سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2016-2017، ص55.

(10) أبو حمو موسى (يوسف بن زيان العبد الوادي)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، 1962، ص81.

كان السلطان يغمراسن بن زيان (633هـ/1236م-681هـ/1283م)،أول من استعمل النصارى[1]، حيث استكثر منهم واعتز بمكانتهم مباهياً بهم في المواقف والمشاهد، وناولهم طرفاً من حبل عنايته، فاعتزوا به[2]، كما أن الزيانيين كانوا قد ورثوا من الموحدين فرقة مسيحية تتكون من ألفي فارس، وذلك بعد انتصارهم على الموحدين سنة 646هـ/1248م، كان على رأسها ناصح الخصي الأوربي وهو قائد هذه الميليشيات والذي تسميه العرب –آفوكونت Athot cot –، وقد خصص يغمراسن هذه الفرقة لحراسته[3]، وفي يوم الأربعاء 25 ربيع الأخر سنة 652، عرض عساكره بباب القرمادين[4] من أبواب تلمسان[5] وبينما هو واقف في موكبه في قائلة الضحى عدا عليه قائدهم، وبادر النصارى إلى محمد بن زيان أخ يغمراسن فقتلوه. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله "وأشار له بالنجوى فبرز من الصف لأسراره وأمكنه من أذنه، فتنكبه النصراني وقد خالطه روعة أحسن منها يغمراسن بمكره فإنحاص منه، وركض النصراني أمامه يطلب النجاة، وتبين الغدر، وثارت بهم الدهماء من الحامية والرعايا، فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الهلاك بكل مهلك فعصا بالرماح وهبرا بالسيوف"[6]، فقتل أولئك الروم عن أخرهم حتى لم تبق منهم عين تطرب[7]، ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان ضد من عائلتهم[8] .

وفي سنة665هـ/1266م، عاد الجند النصارى إلى الجيش الزياني، حيث استخدم العاهل الزياني فرقة مسيحية هامة تتكون من القطلنيين[9] والأراغونيين.[10]بقيادة الأب فيلارجو père de vilagut، ثم تولى القيادة بعده وليام

---

(1) عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص54.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج07، ص113.

(3) عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص54.

(4) يشكل إحدى أبواب الرئيسية لمدينة تلمسان، يقع في الشمال الغربي منها، ويعتبر الحصن الدفاعي الأساسي الذي يحمي مدخل المدينة.(أنظر: خالد العربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، ص213.

(5) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص115.

(6)ابن خلدون، العبر،ج07، ص113.

(7) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص116.

(8)ابن خلدون، العبر،ج07، ص113.

(9) سميرة نميش، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني منذ القرنين(07-10هـ/13-16م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص90.

(10) تقع شمال شرق إسبانيا عاصمتها سرقسطةa Soragoss) فتحها المسلمون سنة 96هـ/714م.(أنظر: لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر هجريين(13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة الجزائر، 1986-1987، ص174).

غاليسوان دي كارتيلا Guillem Galcerande Cartelle،[1]وفي سنة 670هـ تحرك السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق[2] إلى يغمراسن للقائه، فالتقى الجمعان بوادي إسيلي على مقربة من وجدة[3]، فالتحمت الحرب بينهما، فجعل يعقوب ولده أبا مالك على الميمنة، وولده أبا يعقوب على الميسرة وتبعه أبا مالك بالميمنة للطعن والنزال وأتى والدهم على إثرهم في القلب وانتهت المعركة بهزيمة يغمراسن وقتل ولده وفر هو مع بعض ولده وخرج من تحت السيوف، وقتل من بني عبد الواد الكثير [4]

وكان السلطان أبو حمو موسى الأول[5] (707هـ/1308م-718هـ/1318م)، قد استعمل النصارى في جيشه، فعندما غلب على بلاد ترجين استعمل يوسف بن حبون الهواري على الونشريس، وولاه على بلاد مغراوة،[6] ورجع إلى تلمسان، ثم نهض سنة أثني عشر وسبعمائة إلى بلاد شلف[7] فنزل بها، وقدم مولاه ساماً في عساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها[8]، واستمر وجود المرتزقة النصارى في الدولة الزيانية بعد الحصار الطويل الذي تعرضت له مدينة تلمسان من قبل المرينين في عهد السلطان أبو حمو وكان قائدهم آنذاك الفارس(فليب دي مورا Fellipe de mera).[9]

وكان السلطان أبو حمو موسى قد دفع لابنه عبد الرحمن أبا تاشفين[10] 718هـ/1318م-737هـ/1337م

---

(1) سميرة نميش، المرجع السابق، ص91.

(2) هو أمير المؤمنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لقبه المنصور بفضل الله، أمه أم ولد كانت أهداها ابن وقريرة لأبيه أبي يعقوب، مولده بقصر جدة عبد المؤمن بمدينة مراكش سنة خمس وخمسين وخمسمائة بويع يوم الأحد التاسع عشر لربيع الأخر سنة ثمانين وخمس مائة وهي البيعة الخاصة، توفي يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمس مائة.(أنظر: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص133).

(3) ابن الأحمر،تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافية الدينية،، الظاهر، 2001، ص66.

(4) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص208.

(5)أخ الأمير أبو زيان قام بالأمر بعد هلاكه في أخريات سنة سبع، كان صارماً يقظاً حازماً داهية وهو أول ملوك زناته، رتب مراسيم الملك وهذب قواعده وأرهق في ذلك لأهل حده.(أنظر: ابن خلدون، العبر، ج07، ص131-132).

(6) هي أحد فروع زناته زعيمها صولات بن وزمار، يعد المغرب الأوسط الموطن الأصلي لمغراوة.(أنظر: محمد عبد الله المعموري، قبيلة زناته وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 23، 1205، ص320).

(7) هي مدينة قديمة فيها أثار أولية وإليها ينسب التمر الكبير.(أنظر: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص171).

(8)ابن خلدون، العبر،ج07، ص135.

(9) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص188.

(10)ابن السلطان أبو حمو بن السلطان أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يحي يغمراسن بن زيان، مولده سنة اثنتين وتسعين وستمائة، كان فاضلا حميد السيرة رحب الجناب عظيم الخلق في أيامه تحضرت الدولة وأخذ الملك زخرفة وتزين بويع يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثماني عشر وسبع مائة بالملعب خارج قشوط.(انظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص134).

أترابا من العلوج يقومون بخدمته[1]. وكان منهم هلال القطلاني[2] ومسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وظافر والمهدي وعلي بن تاكررت وفرج الملقب بالشقور[3]، وكان أبو حمو قد أوصى ابنه أبا تاشفين إن ظهر عصيان من طرف الأعلاج والنصارى والوصفان،و أخلوا بواجب سلطانه عليه أن يقوم بقمعهم وأن يمنعهم من الخذلان والخلاف، أما عن سكناهم فيكون في بلد حضرته ليجدهم لعضده ونصرته وأن لا يفارقونه طرف عين، وأما عن تربيتهم في الركوب وطبقاتهم في هذا الغرض مطلوب، حيث قال: "فليكن أغزازك وأعلاجك بين يدك وراكبو خيلك بإزائهم يتقدمون عليك، وكذلك النصارى والوصفان يركبون خلفك مع أهل دخلتك الفرسان، ولتقدم على كل جماعة من هؤلاء قائداً متحفظاً ناجداً، وكذلك الأغزاز والأعلاج يجزون في التقديم على هذا المنهاج".[4]

وكان السلطان أبو حمو كثيراً ما يقرع أبا تاشفين ويوبخه في اكتساب الخلال، وكان شديد السطوة متجاوزاً بالعقاب، فكان العلوج تحت رهب منه وكانوا يغرون لذلك مولاهم أبا تاشفين بأبيه ويبعثون غيرته لما يذكرون له من اصطفاء ابن أبي عامر دونه[5]. حيث أشار عبد الرحمن ابن خلدون إلى ذلك بقوله "ذلك أن مسعود بن أبي عامر أبلى في لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبي حمو البلاء الحسن عندما رجع من حصار بجاية فاستحمد له السلطان ذلك غير ابنه عبد الرحمن بمكان ابن عمه هذا من النجابة والصرامة يستجد له بذلك خلالا ويغريه بالكمال"[6]. وبعد ملاك أبو عامر رأى السلطان أبو حمو أن يدفع إلى ابن أبي عامر تراث أبيه لاستجماع خلاله فاحتمل إليه من مودع، ونمي الخبر إلى ولده أبي تاشفين[7] وباطنته السود من العلوج، فاتهموا السلطان بإيثار بولاية العهد دون ابنه، فأغروا أبا تاشفين بالتوثب على الأمر وحملوه على الفتك بمشتوية مسعود بن أبي عامر، واعتقال السلطان أبا حمو[8]، فعزموا على ذلك يوم الأربعاء الثاني والعشرين لجمادي الأولى سنة ثمان

---

(1) ابن خلدون، العبر،ج07، ص135.

(2) أصله من سبي النصارى القطلنيين أهداه السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن، سار إلى السلطان أبي حمو فأعطاه إلى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من موالي العلوج، ونشأ عنده وتربى وكان مخلصاً عنده بالراحلة والدالة، تولى كبر تلك الفعلة بالسلطان أبي حمو.(أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج07، ص152).

(3) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص133.

(4) أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص81.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج07، ص140.

(6) نفسه.

(7) نفسه.

(8) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص133.

عشر وسبعمائة وقصدوا السلطان بداره ومعه مسعود وبنو الملاح[1]، وغيرهم من بطانته[2]، فدخلوا عليهم والسلاح مشهرة، فأول ما بدأ به الأعلاج قتل السلطان رحمة الله عليه بغير رضا ابنه ولا موافقته عليه خفية منه على أنفسهم ثم استأصلوا الباقين، والأمر لله من قبل ومن بعد ولذلك خلفهم سبحانه، فكان عمره قدسه الله ثلاث وخمسين سنة، وملكه عشر سنين[3]، وأجلس أبا تاشفين مجلس أبيه، وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة، وجهز السلطان على مدفنه بمقبرة القصر القديم، وأصبح مثلا في الأخريين والبقاء لله.[4]

وكان السلطان أبو حمو موسى الثاني[5] (760هـ/1359م-791هـ/1389م)، قد استخدم المرتزقة النصارى في جيشه، وصنفهم ضمن مماليك الخاصة بحراسته ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي وجهها إلى الملك الأراغوني بيدرو الرابع المؤرخة في 22صفر 764هـ/11ديسمبر1362م، وأهم ما جاء فيها" وأما قضية النصارى الذين كانوا أخذوا في الأجفان وخرجوا بمرسانا هنين[6] المحروسة خلينا سبيلهم وسرحنا جميعهم...امتنع عن جواز أكثرهم اختاروا الإقامة وطلبوا منا الخدمة المستدامة...فرددنا عليهم خيلهم وأرجعناهم إلى خدمتهم وأجرينا عليهم مرتباتهم وزودناهم على عائداتهم".[7]

كان العاهل الزياني يجني فوائد كبيرة في وجود الفرق العسكرية المسيحية في الدولة الزيانية وغيرها، لأنه كان يأخذ ضرائب غير مباشرة عن رواتبهم يقسمها العاهل الزياني، كما كان الجند بدورهم يقدمون جزء من رواتبهم للخزينة الأراغونية[8]، وكانت رواتبهم هذه الفرق المسيحية الملازمة للخدمة المرتفعة، بحيث تراوحت روابتهم

---

(1) أسرة منها عدة موظفين سامين خدموا الدولة الزيانية، أولهم عبد الرحمن بن محمد بن الملاح الذي تولى منصب صاحب الأشغال للسلطان يغمراسن.(أنظر: التنسي(محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر العقيان في شرف بني زيان، تح محمد أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص138).

(2) التنسي، المصدر السابق،ص 138.

(3) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج01، ص133.

(4) عبد الرحمن ابن خلدون، العبر،ج07، ص141.

(5) هو موسى الثاني بن يوسف أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن أبو حمو، ولد في غرناطة سنة 723هـ/ 1323م، وكان أبوه معدار وانتقل إلى تلمسان في سنة ولادته مع أبيه ونشأ ذكياً فطناً أديباً، شهد زوال دولتهم الأولى في عهد أبي تاشفين سنة 737هـ، دخل تلمسان سنة 760هـ، وجاءته بيعة المدن المجاورة لها انتظمت دولته واستقرت. توفي سنة 791هـ/1789م. (أنظر: ابن الأحمر، المصدر السابق،هـ1، ص76).

(6) مدينة قديمة بناها الأفارقة وهي أنيقة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين تحيط بها أسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر.(انظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص15).

(7) عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر (دراسة وثائق ورسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، 2002، ص138.

(8) سميرة نمش، المرجع السابق، ص92.

من الخمسين ديناراً من الذهب إلى خمسة دنانير ذهبية في كل شهر غالباً[1]، وكان ملوك أراغون حريصين على تعيين قيادات الجند النصارى المرتزقة العاملين بالمغرب الأوسط وبعاصمة تلمسان على وجه الخصوص أو الهارين بها مهما كانت جنسياتهم الأوروبية.[2]

وكان التعاون العسكري القائم بين أراغون وتلمسان قد دعم بمعاهدة تتضمن: "على أن الملك الأراغوني حامي لكل المسيحيين المتواجدين بالمغرب الأوسط بينما يتولى ملك أراغون (القطلان) رعاية مسيحي البحر المتوسط الآخرين كالإيطاليين والفرنسيين في دول أخرى[3]. والظاهر أن الجند المرتزقة كانوا يسكنون في حي منفصل بهم يعرف بربض النصارى[4]، وكانوا يؤدون شعائرهم الدينية بأنفسهم، كما كانوا معفيين من جميع الضرائب والرسوم الجمركية ويخضعون لسلطة قوادهم القضائية.[5]

03-المرتزقة في الدولة المرينية:

ظهرت الدولة المرينية في المغرب الأقصى، وكانت بداية ظهورها سنة 613هـ/1216م، أيام الأمير عبد الحق بن محيو[6]، وفي أيام عثمان[7] بدأ الضعف يدب داخل الدولة الموحدية، وكثرت الفتن بين القبائل، وأصبح القوي يأكل الضعيف، ليس لهم سلطان يكفهم ولا أمير يحكمهم، فلما رأى الأمير عثمان بن عبد الحق أن الخلفاء الموحدين ضعفوا، وأهملوا رعيتهم، أجمع أشياخ بني مرين وندبهم إلى القيام بأمر الدين، والنظر في مصالح المسلمين فلبوا ذلك، وتأسست الدولة المرينية سنة 616هـ/1219م.[8]

و بحكم الانقسام الذي مسّ المغرب الإسلامي وظهور الدولة الحفصية بإفريقية، ودولة بني عبد الواد في

---

(1) عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص56.

(2) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص189.

(3) سميرة نمش، المرجع السابق، ص92.

(4) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص190.

(5) سميرة نمش، المرجع السابق، ص93.

(6) هو أبو محمد عبد الحق ابن الأمير أبي خالد محيو، كان مشهوراً بالتقوى والفضل والدين والصلاح، توفي 22 جمادي الثانية من سنة 614هـ/1215م، ودفن بقرية تافرطاست.(أنظر: ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص33-34).

(7) هو عثمان بن عبد الحق بويع بعد وفاة أبيه عبد الحق بن محيو، كان ذا شجاعة وحزم وكرم وصلاح، مالكا لسنن أبيه، توفي سنة 638هـ. (انظر: الناصري، المصدر السابق، ج03، ص09-10).

(8) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص288.

المغرب الأوسط والصراع الذي كان قائم بينهم[1]، إضافة إلى جهادها في الأندلس[2]. كان لابد على الدولة المرينية أن تؤسس جيشاً قوياً لمحاربة أو صد الهجومات التي قد تأتيها من هاته الدول، فقامت بتأسيس جيش تكون من عناصر مختلفة من زناته والعرب[3]، بالإضافة إلى المرتزقة من الأعلاج النصارى والممالك الزنجية، والطوائف التركية[4]، حيث كانت تناهز العشرة آلاف، ضمن الغز مقدار ألف وخمسمائة فارس، ومن النصارى مقدار أربعة آلاف فارس أو أزيد، منهم 500 من الجند الرماة وطائفة كثيرة يقال لهم الوصفان خاصون بالسلطان يسكنون حواليه، وينزلون في السفر إلى جانب محلته دائرين في حملة نواحيه يقال لهم أهل الدوار، وكانوا يمثلون نخبة المقاتلة في الجيش واختلف عددهم من موقعة لأخرى، واختلف استعمالهم من سلطان إلى أخر.[5]

فالسلطان يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/ 1258-1286م) استعمل الكثير من المرتزقة النصارى والأغزاز في جيشه، وقد بنا للنصارى معسكراً خاصاً بهم سماه ربض النصارى[6]، بحيث أنه لما عزم أمير المسلمين يعقوب على غزو تلمسان بعث ولده الأمير عبد الواحد إلى مراكش لحشد الجيوش من بني مرين وقبائل العرب، ومن بها من الأغزاز والنصارى، وكان ذلك في شهر صفر سنة 670هـ/م1271، وأخذ الأمير في الاستعداد للحركة وخرج يعقوب في جيوشه الوافرة وجنوده المؤيدة حتى نزل وادي ملوية، فأقام به ولحقه ولده الأمير عبد الواحد في جيوش عظيمة وحشود كبيرة وفيه الكثير من الأغزاز والنصارى وارتحل نحو تلمسان.[7]

ولما سار يعقوب إلى فتح سجلماسة سنة 672هـ / 1273م، والتي كانت في يد يغمراسن بن زيان آنذاك استعمل الكثير من الأغزاز والنصارى في جيشه، وعبر ابن أبي الزرع على ذلك بقوله :" فحاصر سجلماسة وأدار بها قبائل مرين والعرب والأغزاز والروم والرماة وشرع في قتالها...".[8]

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج07، ص82.

(2) ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص13.

(3) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج02، ص114.

(4) ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1910، ص106.

(5) محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط03، الرباط، 2000، ص548.

(6) عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلس والممالك النصرانية في إسبانيا(668-869هـ/ 1269-1465م)، أطروحة ماجستير في التاريخ كلية الدراسات العليا في جادته النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2003، ص519.

(7) ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية ، ص129.

(8) نفس المصدر، ص139.

وأصبح للمرتزقة دور مهم في عهد يعقوب، وأصبح يشار إليهم في بعض الأمور، فلما وصل الأمير إلى مدينة إستجة[1] ونزل عليها بجنوده أتاه خبر بأن الدون " نونيو Nuno" كبير الجند النصارى وزعيمهم مقبل على حربه بجموع النصارى في ثلاثين ألف فارس، وستين ألف رجل، فدعا الأمير يعقوب قبائل بني مرين وأمراء العرب وقواد الأندلس والأغزاز ليشاورهم كيف يكون العمل في لقاء العدو المقبل إليهم، وأخذ برأيهم وخاض المعركة وانتصر فيها.[2]

وسار السلطان أبو يوسف بن يعقوب[3] على نهج من سبقه باستخدام المرتزقة في جيشه، وكان هذا الأخير في حروب مستمرة ويحتاج إلى الكثير من الجند فأستخدمهم في جيشه[4]، وقام بإعداد جيش منظم شمل فلول جند النصارى لمواصلة عملياته ضد الحركة الانفصالية في تلمسان[5]، وكانت هناك الكثير من الانتقادات التي وجهت له بخصوص استعماله للنصارى في جيشه.[6]

و عندما هما أبو يوسف استرجاع سيطرته على سبتة واستخلاصها من سيطرة ملك غرناطة، تقدم إلى خايمي الأول ملك أراغون سنة 673هـ/ 1274م، وعقد معه اتفاقية تنص على أن يعير ملك الأراغون السلطان أبا يوسف بعشر سفن وخمسمائة رجل في مقابل تعويض مالي مناسب، وفي المقابل تشيد كنيسة للقيام بالشعائر.

وكان رئيس الجند النصارى على عهد أبي يوسف هو مارتينيز دي كاليكوس (Martinez Calicos)، وهو أحد السفراء الذين أرسلهم السلطان إلى الأندلس سنة 677هـ/1278م ليطلب من ملك قشتالة وحلفاؤه هناك فك الحصار على الجزيرة الخضراء.[7]

وبعد ذلك وصل سفير ملك قشتالة ألفونسو بيريز دي قزمان (A.P.che Gazman) إلى أبي يوسف، ولم يلبث أن التحق بخدمة العاهل المغربي صحبة خمسين من أصدقائه وعشرة من خدمه، في نفس الوقت أصبح قزمان

---

(1) اسم لكورة بالأندلس، متنصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب، وهي قديمة واسعة الأراضي.(أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج01، ص179).

(2) ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص129.

(3) هو عبد الله يوسف أمير المسلمين ابن الأمير يعقوب بن عبد الحق، لقب بالناصر لدين الله، بويع بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه، أخذ له البيعة من الوزراء والأشياخ، توفي سنة 698هـ.(أنظر: ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص374).

(4) نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م، دراسة سياسية حضارية، جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 2004، ص82.

(5) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، دط، المغرب، 1986، ج02، ص284.

(6) نضال مؤيد مال الله، المرجع السابق، ص82.

(7) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص284.

قائد الحرس للقصر قبل أن يؤلف من الأسرى جيشاً قوامه ألف وستمائة رجل، ميزهم بوضع علامة الصليب الأبيض والأحمر على أسلحتهم في الصدر والظهر.[1]

واستعمل أبو يوسف أيضاً من المرتزقة الأغزاز، حيث أنه لما بنا فاس الجديدة عام 674هـ/1276م، أمر بتقسيم المدينة إلى ثلاثة أقسام منفصلة، القسم الأول للقصور الملكية، والثاني إسطبلات كبيرة للخيول، أما القسم الثالث من المدينة فقد أعد لسكن الحرس الخاص بالملك، وكان يومئذ مؤلفاً من الأغزاز وكانوا يتقاضون مرتباً عالياً من الملك.[2]

وساهم الأغزاز في الغزوات التي خاضها أبو يوسف، فعندما رجع السلطان من غزو تلمسان، وصله أن الطاغية سانشو ملك قشتالة، قد انتفض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور، فأمر بالدخول في الحرب ومنازلة شريس[3] وعند مهاجمتها تقدم الأغزاز والرماة المسلمين فرشقوهم بالنبال، ثم رجعت عليهم بني مرين وهزم النصارى.[4]

وفي سنة 708هـ/1308م، قدم إلى المملكة أراغون أبو العباس صحبة (برناردو سيكي Bernar do Segui) من قبل السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله ليعرضا على ملك أراغون مشروعاً لطرد ابن الأحمر ملك غرناطة من سبتة.[5] وسنة 709هـ/1309م، استرد العاهل المغربي مدينة سبتة وذلك بمساعدة الأسطول والفرسان الأراغونيين الذين كان يقودهم أنريكي دي كاستيلنو وبيرناردو سيكي، وبقي الجنود الأراغونيين يعملون تحت رعاية العاهل المغربي.[6]

وفي عهد السلطان أبي سعيد عثمان[7] نرى أن الجنود النصارى واصلوا العمل في المغرب، ودليل ذلك أنّه لما بويع السلطان قاموا بمبايعته الأغزاز وقواد النصارى. وقد عبر ابن أبي الزرع على ذلك بقوله: "وبايعه جميع قبائل

---

(1) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص284.

(2) أحمد توفيق الطيبي، تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997، ج02، ص38.

(3) من كور شدونة بالأندلس، وهي على مقربة من البحر، وبينها وبين المغرب حصن روطة.(أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص340).

(4) أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص98.

(5) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص285.

(6) نفســــــه.

(7) ولد سنة 675هـ/1276م، بويع سنة 710هـ، كان يلقب بالمنصور بالله، وهو ابن يعقوب بن عبد الحق كان حسن السيرة. توفي سنة 710هـ.(أنظر: ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص395).

بني مرين وكافة العرب والأندلس والأغزاز وقواد الروم".[1] وفي سنة 719هـ/1320م أمر السلطان ببناء الجيوب برأس قبور الأغزاز.[2]

وحذا أبو الحسن المريني[3] حذوا والده في استعماله للمرتزقة واتخذهم حرساً له، وذلك أنه في واقعة القيروان سنة 641هـ/1342م، لما خرج بجيشه طالباً من عصاه من العرب، وعند اقترابه من القيروان خانه أنصاره من بني مرين، وفرت طائفة كبيرة من بني عبد الواد إلى المغرب، وفر الأمير أبو الحسن علي في طائفة إلى القيروان، وذهبت محلته كلها، فأقام بالقيروان مدة ثم خرج إلى تونس وليس معه إلا خواص من الفرسان والفقهاء والنصارى والوصفان من حرسه.[4]

ويبدو أنّ بعض فرق الجيش المريني تأثروا بالأغزاز زياً وزحفاً للقتال. ففي لقاء السلطان بأحد الثائرين عليه سنة 763هـ/1361م، أمر من في جيشه من القبيل المريني، بالمناوشة والاختصاص بباكورة القتال، ثم أردفوا بالناشئة والرماة فرجفت راياتهم على شأن غز المشارقة من المزمار والطبل، وحمل حميّة الشعر في أرينة شأن الراية، وانتصروا انتصارا عظيماً.[5]

كما شغل قيادة المركب السلطاني في عهد أبي سالم إبراهيم البطروجي من نشابة الأندلس[6]. واستمر استعمال المرتزقة إلى غاية القرن الرابع عشر نصف الخامس عشر الميلادي، فقد يوجد زهاء خمسين قشتالياً بالمغرب حوالي سنة 788هـ/1386م، حيث نجدهم يتوسلون لسلطان المغرب أبي العباس[7] بن أبي سالم لكي يسمح لهم بزيارة بلادهم وعوائلهم.[8]

وفي الأخير نستنتج أن المرتزقة قد شكلوا قوة عظمى وركيزة أساسية عند دول المغرب الثلاث(الحفصية، الزيانية، المرينية)، حيث أنهم شغلوا مناصب هامة في الدولة، وبرز منهم كبار قواد الجيش كالقائد ظافر كبير وهلال

---

(1) ابن أبي الزرع، الذخيرة السنية، ص396.

(2) نفس المصدر، ص400.

(3) كان أفخم ملوك بني مرين، وأضخمهم ملكاً وأبعدهم صيتاً وأكثرهم أثاراً بالمغربين والأندلس، وكان يعرف بالأكحل لأن أمه كانت حبشية، وفي سنة 719هـ توفي أبي الحسن.(أنظر: الناصري، المصدر السابق، ج03، ص40).

(4) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص170.

(5) عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، ص519.

(6) الناصري، المصدر السابق، ج04، ص40؛ ابن خلدون، العبر،ج07، ص417.

(7) كان يلقب ذو الدولتين لأنه ولى الملك مرتين، لقب المستنصر بالله، بويع سنة 776هـ، ثم بويع مرة أخرى في دولته الثانية سوة 796هـ.(أنظر: الناصري، المصدر السابق، ج04، ص61-64).

(8) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص285.

ومسامح وغيرهم من القادة، كما أنهم بالرغم من الثقة والاهتمام التي منحت لهم من طرف الأمراء والسلاطين إلا أنهم استغلوا مناصبهم سواء السياسية أو العسكرية من أجل تحقيق مصالحهم وطموحاتهم بالوصول إلى السلطة وهو ما قام به القائد ظافر عند قضائه على جميع أعمام المستنصر الحفصي، وكذا غدرهم بالسلطان الزياني يغمراسن بن زيان وقتلهم للسلطان أبي حمو موسى الأول.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع المرتزقة ببلاد المغرب ودورهم في الأحداث السياسية والعسكرية خلال القرنين الثاني والتاسع الهجريين (08-15م) نستخلص النتائج التالية:

تنوعت مصادر المرتزقة ببلاد المغرب، فمنهم النصارى الذين تمركزوا في المناطق الساحلية والصقالبة الذين تم جلبهم من أوربا، وتم تربيتهم على الخدمة العسكرية إلى جانب العبيد السود الذين تم جلب معظمهم من بلاد السودان عن طريق الشراء أو الخطف بالإضافة إلى الأغزاز الذين تم استرقاقهم وإدخالهم ضمن عناصر الجيش.

كان ظهور المرتزقة في بلاد المغرب بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فقد استعان الأمراء الرستميين بهم لإخماد الفتن التي اشتغل فتيلها بينهم وبين أعدائهم أواخر أيام دولتهم. وفي عهد الأغالبة استكثر الأمراء منهم ومنحوهم العديد من الامتيازات حتى أصبحوا قوة عسكرية لا يستهان بها، فقويت شوكتهم وأظهروا دسائس كيدهم بالانقلاب ضد أمراء الدولة، وهو ما جعلهم يتخلون عن خدماتهم واللجوء إلى عبيد السودان لما تمتعوا به من ولاء وطاعة.

وفي عهد الفاطميين تمكن المرتزقة من الوصول إلى مناصب هامة في الدولة وتبوء القيادة في الجيش وبرز من مجموعة من القادة الذين صنعوا التاريخ أمثال جوهر الصقلي. وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر انتقل المرتزقة إلى خدمة أمراء الدولة الزيرية الذين ضموا عدد من النصارى وعبيد السودان إلى صفوف الجيش للاستفادة من خدماتهم العسكرية، حيث كان لهؤلاء المرتزقة صدى كبير داخل البلاط الزيري وذلك بتعينهم للمعز بالخلافة وإقرارهم عن أحقيته بذلك.

أما بالنسبة لحضورهم في الدولة الحمادية، فنجد أن الأمراء قد استعانوا بالنصارى والصقالبة وذلك بعد شرائهم من بين الأسرى، إضافة إلى العبيد السودان الذين شكلوا فرقة خاصة بالسلطان تلازمه في كل نشاطاته ورحلاته ومعاركه.

برز المرتزقة بشكل كبير في دولتي المرابطين والموحدين على غرار الدول التي سبقتهم في بلاد المغرب، فقد تمكن المرابطون من استكثارهم وضم عدد هائل من الأسرى في معركة الزلاقة، كما استكثروا من العبيد السودان بعد أن أشترى الأمير يوسف بن تاشفين عدد كبير منهم وضمهم إلى جيشه فساعدوه على تقوية منصبه في السلطة.

شكل المرتزقة خطرا كبيراً على دولة المرابطين من خلال محاولتهم خلق الخلافات والثورات التي هددت أمن واستقرار الدولة، وبلغت قمة خطورتهم عند تحالفهم مع أعداء المرابطين أمثال ألفونسوا الأول ملك أراغون.

ونفس الدور لعبه المرتزقة في دولة الموحدين، فقد شكلوا قوة عسكرية لا يستهان بها، كما ساعدوا الموحدين على تحقيق العديد من الإنجازات كفتح مراكش والقضاء على ثورة الماسي، بالإضافة إلى انضمام عدد من القادة النصارى إلى الجيش الموحدي أمثال جرانده الذي عاهد على خدمة وطاعة الدولة، لكنه ما لبث حتى بين خبث نواياه وقتل نتيجة ذلك.

ظل نشاط المرتزقة قائم في الدول التي خلفت دولة الموحدين (الحفصيون، الزيانيون، المرينيون)، حيث أن الأمراء الحفصيين لم يستغنوا عن جهود هؤلاء المرتزقة سواء في صفوف الجيش أو في بلاط الحكم، إلا أن أطماعهم فاتق كل الحدود، فقد استغلوا جميع الفرص التي سنحت لهم لإحداث انقلاب، مثل ما قام به القائد ظافر عند قتله لجميع أعمام السلطان المستنصر دون سابق جرم منهم حتى يخلوا للنصارى الجو ويتمكنوا من الوصول إلى السلطة.و لعبوا دوراً هاماً في الدولة الزيانية فقد شكلوا فرقة من جند المرتزقة وخصهم الزيانيين بربض خاص بهم، لكن محاولتهم لاغتيال يغمراسن بن زيان كانت كافية لفضح نواياهم، مما دفع بالزيانيين لاستبعادهم، غير أنهم ما لبثوا إلى أن عادوا إلى استعمالهم من جديد وظل غدرهم على ما هو عليه وتأكد على ذلك من خلال الوشاية التي قاموا بها بين السلطان عبد الرحمان أبو تاشفين ضد أبيه أبي حمو موسى الذي غدروا به وقتلوه هو الأخر.

أما بالنسبة لأمراء الدولة المرينية فقد ضموا كل من النصارى والأغزاز إلى جيوشهم كما خصصوا لهم معسكر خاص بهم يسمى بربض النصارى، كما نجد أن هؤلاء المرتزقة قد كانت لهم أهمية كبيرة عند المرينيين، حيث كان يتم مشاورتهم في بعض الأمور والقرارات العسكرية.

الملاحـــق

الملحق رقم 01:

رسالة وجهها أمير المسلمين على بن يوسف بتقريع قادته وجنده عقب هزيمتهم أمام ابن رذمير "ألفونسو المحارب" في أراضي بلنسية .

من أمير المسلمين وناصر الدين أما بعد:

يا فرقة خبثت سرايرها، وانتكثت مراريرها، وطايفة انتفخ سحرها، وغاص على حين مرة بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم وللأقدام أن تطأ مفارقكم، حين ركبتموها جلواء عارية وأصبحتم في أدراع عارها أمثالاً سواسية، و اختلط المرعى منكم بالهمل فما يتبين الأنقص من الأكمل. فطأطأتم لها الرؤوس عشايركم، وقضيتم بالفسولة على سايركم، لا جرم أن قد صرتم سيمر الندى، والأحاديث المعلنة بالغداة والعشي، بما خامركم من الجبن والخور و ستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزور، لا تواجهونهم طرفة عين، و لا تعاطونهم ...حين، بل تعطونهم الظهر هنياً مرياً،وتتخذونهم وراءكم ظهرياً، والرماح نحوكم لم تشرع، والخيل لم تسرع، والنفوس في حباض المنية لم تكرع، فإنكم ثلة ذيابكم وفرية أنيابهم، قد نعموا في بوسكم، وناهضوكم بلبوسكم، وحاربوكم عاما، حتى ألزقوكم وتركوكم أسلح من حباري، وأشرد من نعام.

فالآن حين ملاتم أيديهم متاعاً ووواديهم سلاحاً وكراعاً قد غروكم في عقركم وأذاقوكم وبال أمركم، فلذتم بالجدران، ويؤتم بالندامة والخسران.

يابغايا بني الأصفر، وسجايا ذوات الدل والخفر، أكرهتم زحافهم، وكنتم على الله أضعافهم؟ أني لكم بالمعذرة وأين؟ وقد فرض الله الواحد منكم بالإثنين فقال:(فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين). هذا وكلمتكم العلي، وحلوبتكم الحياة الدنيا، وما شئتم من صارم، وطرق ونحض وركايب وسوام، وتضايد وخيام.

فيا أسفا للحق يدمغه الباطل والحالي يبهره العاطل لا بالحنيفية تحرزنم ولا إلى الحفيظة و الإناية تجنزتم، ليت شعري بماذا تلقدتموها هندية واعتقلتموها سمهرية خطية، وركبتموها جراداً سوابق، وملكتموها مغارب ومشارق؟ ثاوين في غير عدادكم منتزين على أضدادكم، يؤدون الإتاوة إليكم حين أشرقتموهم بالهوان، وأنتم فيها غرباء الوجه واليد واللسان، وصيروكم عبيد الحصى،ولستم بالأكثرين منهم حصى، بل شرذمة قليل نفعها كثير

نجعها، فيا[1] عجب لذهولكم شبانكم وكهولكم، تأكلون ثمرها، ولا تصلون جمرها، وتذهبون بحلوائها، ولاتصبرون على لأوائها؟ أين بني اللئيمة، وأعيار الهزيمة، إلى من يريعكم الناقد ويردكم الفارس الواحد.[2]

ومن لرعاة الإبل بالجد المقبل؟ لقدماً ما أذهبتم الثالد والطارف، وعجباً عجيباً من جذامى المطارف، وأنتم قد قدحتم ملكنا، وأذنتم بانتشار سلكنا، فلولا من لدينا من ذويكم، وضراعتهم إلينا فيكم لألحقناكم عجلا يصحرايكم ، وطهرنا الجزيرة من رحضايكم، بعد أن نوسعكم عقاباً، ونحد أن لا تلووا على وجه نقاباً.فاللؤم تحت عمايمكم، والوهن والفشل طي عزايمكم، لكن ما جلبنا عليه من الأناة، وتوخيناه قدماً من إيقاظ ذوي الملكات، يكفنا عن استئصالكم، ويحملنا على شحذ نصالكم.

فاستبشروا يابغات الهيجا، واستيئسوا بعد الرجاء، و أحذروا حلماً أغضبتموه، و وادياص من الصبر أنضبتموه، وتوقوا صدراً أحر جثمتموه، وليثاً من أجمته أخرجتموه، و أيم الله نقسم أنذاراً بك، وإعذاراً لكم، لنوردن الفار منكم من الزحف، ما عافاه من موارد الحتف، و لنتجاوزنا السوط إلى السيف، ولنبدلن المعدلة فيكم بالحيف، فليعلم المقدم المحجم منكم عن الإقدام أنه سلم من الحمام إلى الحمام، وتخطى مصرع الأسد الباسل إلى جذع مائل، وشهادة الأبرار إلى مشهد الذل والصغار/ كما أن من أصيب منكم في حرب أو أبلى بطعن أو ضرب، خلفناه في الأهل والولد، وبعناه الأثرة والكرامة يداً بيد، فإختاروا لأنفسكم وأعقابكم، وأنضوا ثوب الخزي عن رقابكم ، والسلام على من حمى الإسلام.

كمل ما كتب به الفقيه الأديب، الكاتب البليغ الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله إبن أبي الخصال عن أمير المسلمين.)

---

(1) فتحي زعروت، المرجع السابق، ص381.

(2) نفس المرجع ، ص382.

الملحق رقم 02:

رسالة الخليفة المرتضى لأمر الله إلى البابا إنوصان الرابع ينوه في بدايتها بدحض نظرية التثليث، ويشير فيها إلى ما ورد من كتب البابا إلى الخلافة الموحدية، ويرجوه أن يكون اختيار الحبر المكلف بالنظر في شؤون النصارى بالمغرب من ذوي العقل الراجح، والأخلاق الحميدة، والنزاهة الوافرة، مؤرخة في الثامن عشر من ربيع الأول سنة 648هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله وحده من عبد الله عمر أمير المؤمنين أبن سيدنا الأمير أبي إبراهيم بن أمير المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره، وأمدهم بمعونته، إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية وقيم الملة المسيحية ووارث رياستها الدينية، البابا إينه سانس أش، أنار الله تعالى بصيرته بتوفيقه وإرشاده، وجعل التقوى التي أمر عز وجل بها عدته لمحياه ومعاده، وأنار له من سابق الهداية ما يقضي لمدى الغاية، بأتم إفساحه و امتداده، تحية كريمة نراجع بها ما تقدم تحياتكم الواردة علينا، ويترجم لكم أرجها عما تعتمدكم به البار لدينا.

أما بعد، وبعد كتابنا كتب الله تعالى لنا حظوظاً من رضاه، تزكو وتتوفر، و استعملنا وإياكم بكل ما نتهأ به لإحراز الفوز لديه و نتسير من حضره مراكش حرسها الله تعالى، ودين الله عز وجل عال مسماه ومصعد، والتوحيد حال بالزهور جيد ومقلدة، والسعي معمل في ابتغاء من الله تعالى موقفه ومسدده، والحمد لله رب العالمين حمداً يتولى على ألسنة تكرره وتردد، ونستدعي به من مزيد التعماء أفضل ما وعد به تعالى من يحمده ويشكره، وإلى هذا يسر الله تعالى بتوفيقه إسعادكم وجعل في طاعته التي تعدد بها خلقه إصداركم وإيرادكم، فإنه[1] سبقت منا إليكم مراجعات من كتبكم المؤثرة الواصلة إلينا وأرسلنا نحوكم من الجواب عنها ما تممنا به بركم ووفينا وعرفناكم أن نوجب لمنصبكم الذي أبد في ملتكم على مناصب وأقر لرتبكم فيه أهل دينكم، بالشفوق على سائر مالهم من المراتب، فأنتم عندنا لذلكم بالتكرمة الحقيلة ملحوظون وبالعناية الجميلة محظوظون نؤكد من أسباب

---

(1) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص397-398.

المواصلة لكم ما حقه أن نؤكد، ونحدد من عهود الحفاية بكم ما شأنه أن يجدد، ونشكر لكم ما توالى علينا من حسن إبتاركم.

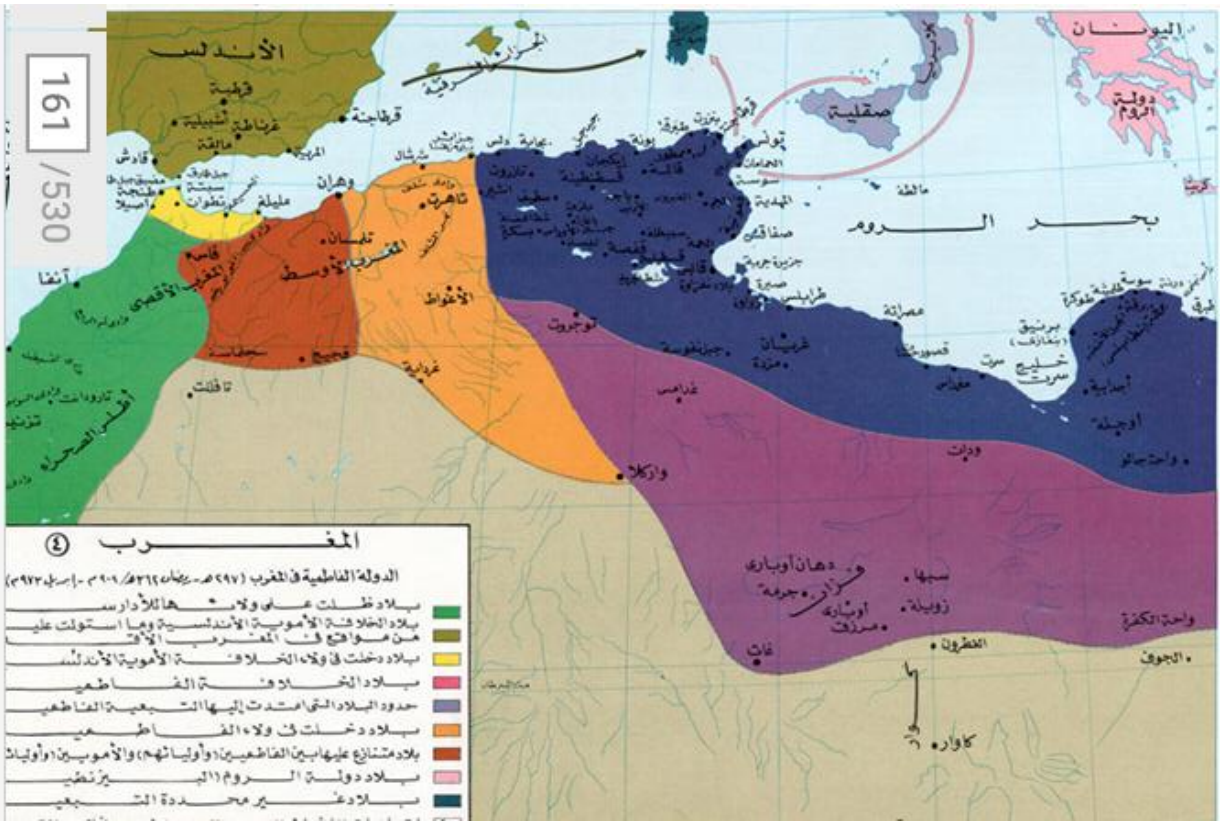
وفي سالف هذه الأيام انصرف عن حضرة الموحدين أعزهم الله البشر الذي كان قد وصل بكتابكم إلينا، و انصرافا لم يعد منا فيه برد إكرام ولم يغبه فيه إعتناء به و اهتمام، كما أنه في المدة التي قضى له فيها لدينا بالمقام، لم نزل نتعهده أثناءها بالإحسان والإنعام، وتحمل كتابنا إليكم تعريفاً بما اختار من انصرافه ولا عدل به عن حقى البر و حفيله وثنى المن وجزيله، ذهاباً لتكريم إشارتكم السابقة في حقه، وسلوكاً به من البر على أوضح طرقه، والله تعالى يرشد في كل الأحوال لا ذكى الأعمال لديه، وينجد من الأكراب والأفعال، على ما يقرب إليه بمنه، ومتى سمح لكم الله تعالى بتقواه أن توجهوا لها ولاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين أعزهم الله من قرونه برسم ما يصلحهم في دينهم ويجزيهم على معتاد قوانينهم فتخيروه من أهل العقل الراجح و السمت الحسن، وممن يستلذ في النزاهة على واضح السنن، وممن يتميز في الخدمة بالمذهب المستجاد والقصد المستحسن وذلكم هو الذي إذ تعين من قبلكم مستجمعاً للصفات المذكورة، ومتحلياً بالخلال المشكورة، حسن في كل ما يستخدم، وتسنى له بذلك أجزل الخير وأوفره، وأنتم تفون بهذا المقصود في ما تعلمون من اختياركم متى ظهر لكم التوجيه بهذا الرسم لأحد، وتعتمدون فيه أجمل معتمد وشكرنا لكم على كل ما تذهبون إليه في جانبنا من تمشية الأغراض والمذاهب وتحتفلون فيه من المساعدة الصادرة فيكم عن كرم الضرائب وتبادرون إلى بذله من المكارم المناسبة لما لكم في تخليكم من إناقة المناصب، مما نكافئ به صدق مصادقتكم، وتتوخى فيه مالا يعدل عن موافقتكم جزاء لبركم بأمثاله، و اعتناء بما يقص لولائكم بدوامه و اتصاله، بحول الله تعالى وقوته، وهو سبحانه ييسرنا لنيل الحسنى، والزيادة من فضله، ويأخذ ما في ديننا ودنيانا على أقوم سبله، ويجعلنا وإياكم بما يمنحنا من التوفيق، في أول رعيل من حزب وأهله، بمنه وكرمه لا رب سواه، وكتب في الثامن عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وستمائة.[1]

(1) فتحي زغروت، المرجع السابق، ص399.

الخرائط

الخريطة رقم 01

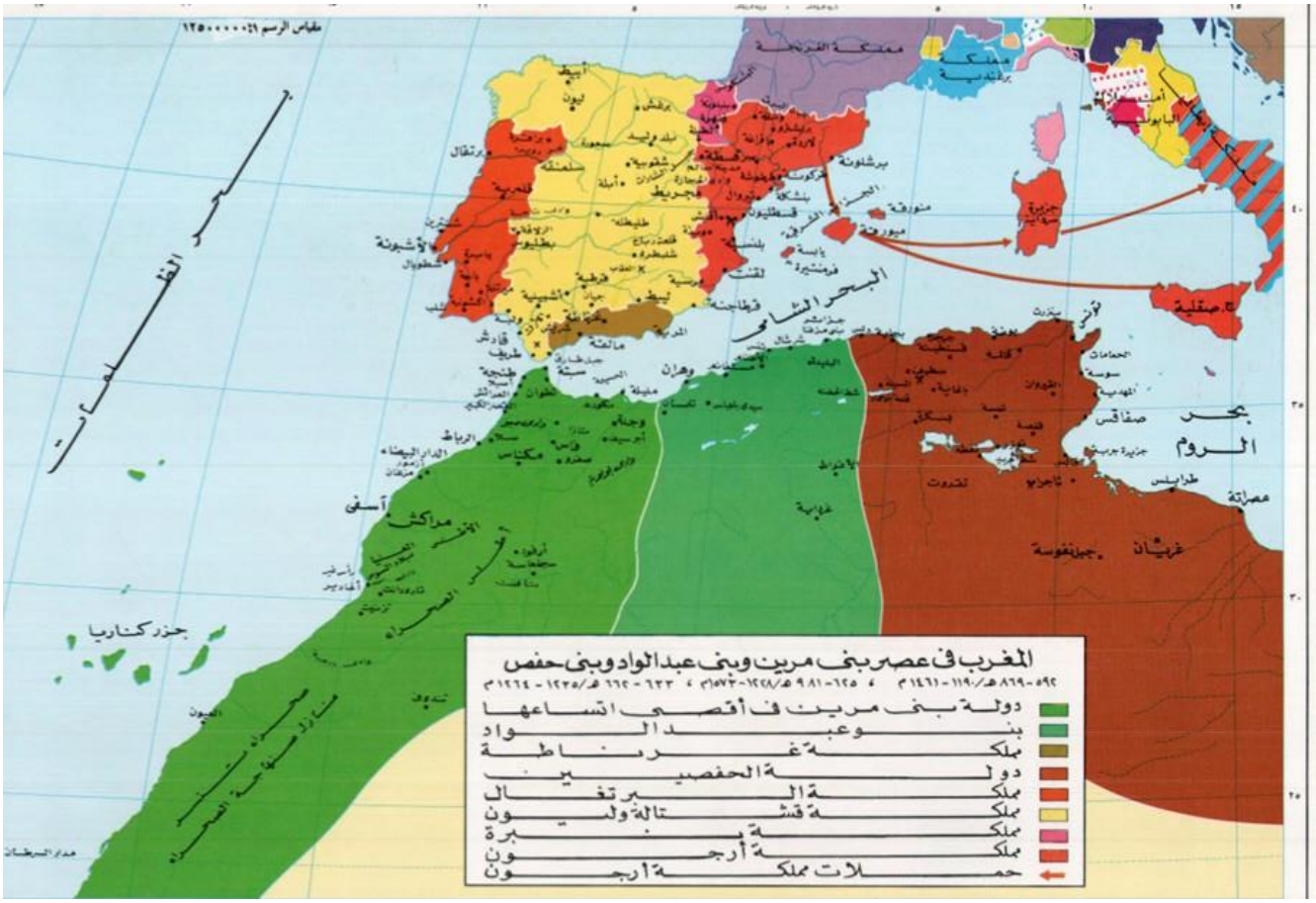
خريطة توضح بلاد المغرب خلال الحكم الفاطمي



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص160.

الخريطة رقم 02:

خريطة توضح بلاد المغرب خلال عهد الحفصصين والزيانيين والمرينين



حسين مؤنس، المرجع السابق، ص167.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

01-ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي) ت 658هـ/1260م

-الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ، القاهرة، 1963.

02-ابن الأحمر.ت810هـ/ 1408م.

-تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافية الدينية ، 2001.

03 -الإدريسي (أبو عبد الله بن محمد) ت558هـ/ 1164م.

- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة، 2006، مج01.

04-البكري(عبيد الله بن عبد العزيز) ت487هـ-1094م

- المسالك والممالك،تحقيق جمال طلبة،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،2000،01 .

05- البيدق(أبو بكر علي الصنهاجي) ت555هـ/ 1160م.

- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

06- التنسي(محمد بن عبد الله)ت 899هـ/1493م.

- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر العقيان في شرف بني زيان، تحقيق محمد أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

07- ابن الحاج النميري(ت 768هـ/1366م).

-فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1990.

08-الحميري(محمد بن عبد المنعم السبتي).(ت أواخر ق09هـ/15م).

-كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

09-ابن عبد الحكيم(عبد الرحمان بن عبد الله)(ت 257هـ/871م).

- فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1914.

10- أبو حمو موسى (بن يوسف بن زيان العبد الوادي) (ت 791هـ/1388م).

- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد الشرقي، الدار التونسية، الإسكندرية، 1968.

11- ابن حوقل(أبو القاسم بن حوقل النصيبي)(ت 380هـ/990م)

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1995.

12- ابن الخطيب (لسان الدين)(ت 776هـ/ 1374م).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد كسرودي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الجزء02.

13-ابن خلدون(عبد الرحمان بن محمد)(ت 808هـ/1406م).

- المقدمة، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، دون تاريخ.

14-ابن خلدون(أبو زكرياء يحي)(ت 780هـ/ 1378م).

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيرفوطونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، الجزء01.

15-الدرجيني(أبو العياش أحمد بن سعيد)(ت 670هـ)

- طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق، إبراهيم طلاي، دون بلد، دون تاريخ.

16- ابن أبي الدينار(محمد بن أبي القاسم)(ت 1110هـ/ 1698م).

-كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، طبعة01، دون بلد، 1286.

17- الذهبي (الإمام شمس الدين محمد)ت 748هـ/1347م.

-سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغوجي، مؤسسة الرسالة، الطبعة01،بيروت،1981،ج04و15.

18- الرقيق القيرواني (ت 425هـ/1033م)

- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق:محمد زينهم، محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، دون بلد، 1994.

19- الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)(كان حياً سنة 894هـ/ 1488م).

- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماصور، المكتبة العتيقة، الإسكندرية،2002.

20-ابن أبي الزرع(أبو الحسن علي بن عبد الله)(ت 726هـ/ 1269م).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، توتيوغ، 1243.

- الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، دون دار نشر، دون بلد، دون تاريخ.

21-الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)(كان حياً سنة 546هـ/ 1151م).

-كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، دون تاريخ.

22-ابن الشماع(أبو عبد الله محمد).

- الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، دون بلد نشر، 1984.

23-ابن صاحب الصلاة(عبد الملك بن محمد)(ت 594هـ/ 1197م).

- المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي ،طبعة03، بيروت –لبنان، 1987.

24- ابن الصغير(عاش في القرن الثالث هجري).

- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصرو إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، دون بلد، دون تاريخ.

25-ابن عذارى المراكشي(أبو العباس أحمد بن محمد)(ت 712هـ/1312م).

- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، طبعة01، نونس، 2013 .

26- أبي الفداء(عماد الدين إسماعيل)(ت 732هـ/ 1332م).

- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

27- القاضي النعمان(ت 363هـ/ 973م).

- افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط 2،دون بلد، 1986.

-المجالس والمسايرات، تحقيق: محمد البعلاوي وآخرون،دار المنتظر، ، بيروت، 1996.

28- ابن القطان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي)(ت 628هـ/ 1230م).

- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، طبعة02، دون بلد، دون تاريخ.

29-القلقشندي(أبو العباس أحمد)(ت 821هـ/ 1018م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاد، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915 .

30- ابن قنفد القسنطيني(أبو العباس أحمد بن حسين)(ت 810هـ/1407م).

-الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية، الإسكندرية، 1968.

31- مارمول كربخال.

- إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، المغرب، 1924،ج01.

32- المراكشي(عبد الواحد)(ت 581هـ/ 1185م).

- العجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، دون تاريخ.

33-المقريزي(تقي الدين أحمد)(ت 845هـ/ 1441م).

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، دون دار نشر، دون بلد، دون تاريخ، الجزء 01.

34- المقري(أحمد بن محمد المقري التلمساني)(ت 1041هـ/ 1631م).

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء04.

35- مؤلف مجهول(عاش في القرن 08هـ/14م).

-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، 1979.

36-مؤلف مجهول(عاش في القرن 06هـ/ 12م)

-كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ترجمة: سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العمة ، الكويت، 1985.

37- الناصري(أحمد بن خالد)(ت 1279هـ/ 1863م).

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، دون دار نشر،دون بلد،دون تاريخ،الجزء01.

-(" " "")، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

38- الوزان حسن(محمد الوزان الفاسي)(ت 957هـ/ 1552م).

- وصف أفريقيا، ترجمة محمد جحيو محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، طبعة02، لبنان، 1903.

39- الونشريسي(أبي العباس أحمد بن يحي)(ت 914هـ/ 1514م)

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد يحي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية للمملكة المغربية ، الرباط، 1981 .

40- ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله)(ت 626هـ).

-معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

ثانيا : المراجع

01-الهادي الروجي(إدريس) ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992 .

02- إسماعيل (عبد الرزاق محمود).

- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، طبعة02، 1985.

03-أشباخ (يوسف)

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان وسليمان العطار، المركز القومي، القاهرة، 2006 .

04- بحاز (إبراهيم)

- الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ،دون بلد، 1985.

05- برانشفيك (روبار) .

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان، 1988، الجزء01.

06- بشر(عبد الرحمن)

-اليهود في المغرب العربي(22-462 هـ/642-1070 م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دون بلد،2001.

07- بن حماد (عبد الله محمد)

- أخبار ملوك عبيد وسيرهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة ، القاهرة، دون تاريخ.

08- بن المنصور (عبد الوهاب) ، قبائل المغرب، المطبعة الملكية ، الرباط، 1968 .

09- بوتشيش (إبراهيم القادري)

- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، دون تاريخ .

10- بورويبة (رشيد)

-الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1977.

11- التازي (عبد الهادي)

-التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، دون دار نشر، المغرب، 1986.

12- الجوذري (العزيز)

-سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كمال حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1955.

13- حركات (إبراهيم)

- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000 .

14- الحريري (محمد عيسى)

- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160 هـ-296م)، دار العلم،طبعة 03، الكويت، 1987.

15- حسين (ممدوح)

- إفريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، دار عمار، طبعة01، الأردن، 1997.

16- حمودة (عبد الحميد)

-تاريخ المغرب الإسلامي منذ الفتح وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية، الطبعة01،القاهرة، 2007 .

17- الخربوطلي (علي حسن)

-أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، دون بلد، 1972.

18- خلف الله (ابتسام مرعى)

- العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564 هـ-936 هـ/1130-1096 م، دار المعارف ، الإسكندرية، 1985.

19- الدشراوي (فرحات)

- الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م)، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ،بيروت، 1994.

20- دندش (عصمت عبد اللطيف)

- في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510-546هـ/1116-1151م، تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1988.

21- دويدار(حسين)

- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422 هـ/755-1030 م)، مطبعة الحسين الإسلامية ،الطبعة01، الإسكندرية ،1994.

22- زغروت (فتحي)

- الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين(المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة01، القاهرة، 2005.

23- زغلول(سعد عبد الحميد)

-تاريخ المغرب العربي منذ الفتح إلى بداية عصر الاستقلال(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، دار المعارف، الإسكندرية، 1993 .

24- سالم (عبد العزيز).

-تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العرب حتى سقوط الخلافة بقرطبة،مؤسسة شباب الجامعي، الإسكندرية، 1997.

- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999.

25- سعيدان (عمر).

-علاقات إسبانيا الفطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشرم(دراسة وثائق ورسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، 2002.

26- شيانة (كمال)

- الدويلات الإسلامية في المغرب، دار العالم العربي، الطبعة01، القاهرة، 2008.

27- الصلابي(علي محمد)

- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، طبعة03، بيروت- لبنان، 2009.

28-طقوش (محمد سهيل)

-تاريخ الفاطميين في الشمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام297-567هـ/910-1171م، دار النفائس للطباعة والنشر، ط02، بيروت، لبنان، 2007.

29-الطيبي(أحمد توفيق)

-تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، دون بلد، 1997 .

30-العبادي (أحمد مختار)

- صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف ،الإسكندرية، 2000 .

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب بالجامعة، الإسكندرية، دون تاريخ.

31-العربي (خالد)

- الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2011.

32- عزب (محمد زينهم)

-قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي ، القاهرة، 2012 .

33- عماد الدين (إدريس)

- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب(القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة01، بيروت-لبنان، 1985.

34- عنان (محمد عبد الله)

-دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، الطبعة02، القاهرة، 1990 .

35- فيلالي (عبد العزيز)

- تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002.

36- القيصر (سيف الدين)

- ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، دون تاريخ.

37- مؤنس(حسين)

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الطبعة01، القاهرة، 1997.

- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للأعلام العربي،الطبعة01، القاهرة، 1987.

38- محمد (سوادى) و عمار (صالح الحاج)

- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة، 2004.

39- المسيري (عبد الوهاب)

- اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، دون بلد، 1936 .

40-المطوي (محمد العروسي)

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي الطبعة02، تونس، 1982.

- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان، 1986.

41- المنوني (محمد)

- ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة03، الرباط، 2000

42--عز الدين (موسى)

-الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظامهم، دار الغرب الإسلامي، دون بلد،دون تاريخ.

43- هوبكنز:

- النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب،ليبيا-تونس، 1980.

44- يوسف (جودت عبد الكريم)

-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون تاريخ.

ثالثا : الرسائل الجامعية

01- الأعرجي (نضال مؤيد)

– الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني 685-706هـ/1286-1306م، دراسة سياسية حضارية، جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، تخصص التاريخ الأسلامي، جامعة الموصل، 2004.

02- بشاري (لطيفة بن عميرة)

– الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين (ق 01-04 هـ/ 07-10 م)، أطروحة دكتوراة في التاريخ الوسيط – جامعة الجزائر، 2007.

–التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر هجريين(13-16م)، رسالة لنيل شهادة الماجيستر، جامعة الجزائر، 1986.

03- بن الذيب (عيسى)

– المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480هـ-450هـ/1056م-1145م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 1429- 1430هـ/2008-2009م.

04- حسن (عامر أحمد عبد الله)

–دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلس والممالك النصرانية في إسبانيا(668-869هـ/ 1269-1465م)، أطروحة ماجستير في التاريخ كلية الدراسات العليا في جادته النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2003.

05- حمزة (عبد الصمد)

– أهل الذمة في الدولة الزيانية(633-962هـ/ 1235-1554م) دراسة سياسية و اقتصادية واجتماعية وثقافية، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2016-2017.

06- شريف (عبد القادر)

– النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين (21هـ-641 هـ/668هـ -1269 م)،مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، 2012.

07- طرافي (أم السعد)

– الممالك الصقلية شرق الأندلس إمارة دانية(400-460 هـ/ 1009-1076 م) أنموذجا، مذكرة شهادة الماستر، تاريخ القرون الوسطى، جامعة المسيلة،2015-2016.

08- قرواز (فتيحة)

- الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية (260-296هـ/777-909م)، مذكرة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، شلف، 2011-2012م.

09- لبيض (أمال)، بانوح(سعاد)، النظام السياسي والإداري للدولة الحمادية 408-547هـ/1017-1153م، أطروحة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط البويرة، 2015.

10- مطهري (فطيمة)

- مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية(القرن 02-03هـ/08-09م)،ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، 2010.

11- نميش (سميرة)

- دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني منذ القرنين(07-10هـ/13-16م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

12- هيصام (موسى)

- الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/ 1014-1152م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، 2001.

رابعا : الدوريات و الموسوعات :

01-مزاري (توفيق عبد الصمد)

-التركيبة القبلية للجيش المغربي في العهد الموحدي(526-568هـ/1130-1269م)، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد16، العدد الأول، 2016.

02- المعموري (عبد الله محمد)

- قبيلة زناته وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 23، 1205.

03- هندي (حازم وطن)

- قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عصر الدولة الفاطمية، مجلة الأستاذ، المجلد01، العدد18، بغداد، 2016.

4- - الموسوعة العربية الميسرة، مجلد 01.

فهرس الموضوعات

الإهداء.

الشكر والعرفان.

مقدمة..... 5-1

مدخل: المرتزقة ومصادرهم ببلاد المغرب 14-4

01- مفهوم الأرتزاق 7-7

02- مصادر المرتزقة 14-7

أ- النصارى 10-7

ب- الصقالبة 11-10

ج- السودان 13-11

د- الأغزاز 14-13

المبحث الأول: ظهور المرتزقة ببلاد المغرب 26-15

01- المرتزقة في الدولة المستقلة..... 19-16

أ-المرتزقة في الدولة الرستمية 18-16

ب- المرتزقة في دولة الأغالبة 19-18

02- المرتزقة في الدولة الفاطمية 22-19

03- المرتزقة في الدولة الزيرية 24-23

04- المرتزقة في الدولة الحمادية..... 16-25

المبحث الثاني: المرتزقة في دولة المرابطين والموحدين 41-27

01- المرتزقة في دولة المرابطين 32-28

أ- عهد يوسف بن تاشفين (454هـ-500هـ/1062-1106م) 30-29

ب- عهد علي بن يوسف ابن تاشفين (500-537هـ) 31-30

ج- عهد تاشفين بن علي (537-539هـ/1143-1145) 32-32

02- المرتزقة في دولة الموحدين 41-32

أ- عهد عبد المؤمن بن علي (524هـ-1130م) 34-33

ب- عهد أبو يعقوب يوسف (558هـ-1169م/580هـ-1184م) 36-35

ج- عهد أبو يوسف يعقوب (المنصور) (563-595هـ/1184-1199م) 37-36

د – في عهد خلفاء أبي يعقوب المنصور(595هـ - 646هـ/ -1199 - 1148م) 41-38

المبحث الثالث: المرتزقة في الدولة الحفصيين والزيانيين والمرينيين 59-42

01- المرتزقة في الدولة الحفصية 49-43

02- المرتزقة في الدولة الزيانية 50-49

03- المرتزقة في الدولة المرينية..... 59-54

الخاتمة 62-60

الملاحق 67-63

الخرائط..... 70-68

قائمة المصادر والمراجع..... 81-71

فهرس الموضوعات 84-82